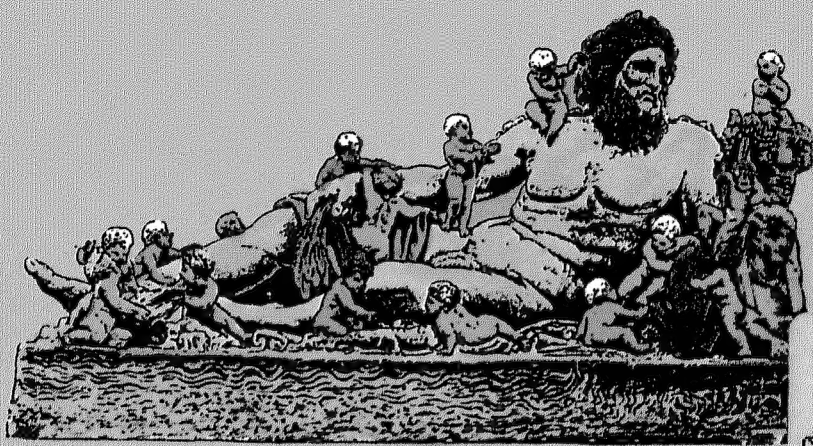


صفحات من
تاريخ
مصر
الفرعونية

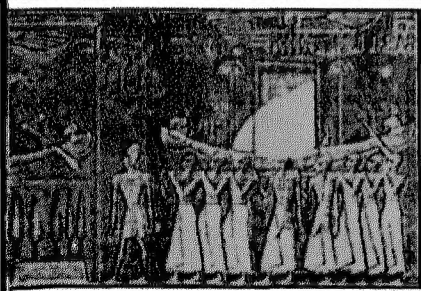


النيل

في عهد
الفراعنة
والعرب



تمثال للنيل على شكل انسان



الناشر
مكتبة مذبولي
القاهرة



النيل في عهد الفراعنة والعرب

لواضعه

أنطون زكريا

أمين دار كتب المتحف المصري



جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م



مطبعة المعارف قاهر

حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول

أول ملك جلس على عرش مصر بعد دول القراعنة المرسومة صور عظمائهم حول رسمه الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

على غير ما اعتاده بعض الكتاب من اتخاذهم عادة في ما يؤلفون ويكتبون وضع مقدمات كبيان للفن الذي يشتغلون به ، أو المواضع التي يوقعون للإجادة في مباحثها تشويقاً للقراء ، وتخليها عن أهمية ما يتصدرون الاطاب فيه ، بما أوتوا من براعة واقتدار حتى يكون المطلع على اشتياق لما تزفه الأقلام للأفهام

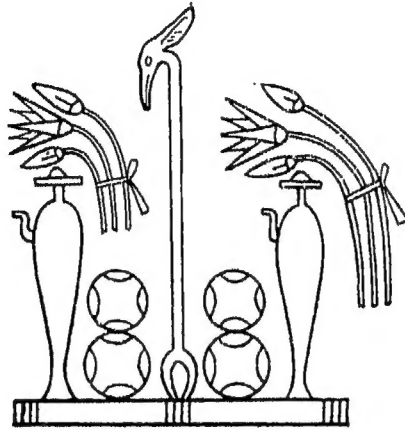
قد رأيت في هذا المؤلف اجتناب الإطالة في التمهيدات والمقدمات ، اكتفاء بأن الموضوع المقصود بالبحث والبيان هو النيل ، والنيل ذو أهمية بذاته لا تحتاج معالجة لأثارة الأشواق واستفزاز الفطن ، لأن النيل ومزاياه وتوقف حياة البلاد عليه تكاد أن تكون في حكم المعلومات الفطرية ، التي تنبعث الأذهان بطبيعتها إلى حب الإطلاع على كل ما يتعلق به من المباحث التاريخية والمعلومات الفنية التي جادت بها القرائح في قرون ماضية ، لازلنا نقف آثارها في الارتشاف من مناهلها والحرص على الاستفادة من كل جديد مفيد

النيل في عصر الفراعنة وفي عصور الفتوحات الاستعمارية إلى عصر الفتح الاسلامي وما يليه ، أخذ عناية دائمة بالمحافظة على فوائده من كل دولة كان لها حق السيطرة على هذه البلاد

لهذا تحتم عندى التلخيص بأقصى مستطاع لكل المعلومات الزمنية للنيل وتطوراته
فى كل هذه العصور، اعترافاً للرجال المصلحين فى كل أمة بالفضل الذى بذلوه
لفائدة العمران فى المحافظة على مياهه وانتفاع بلاده ببركات فيضه

فلنا المعذرة إذا قصرنا بحثنا على أدق ما يهم الإطلاع عليه، خصوصاً فيما يتعلق
بالمناطق الشهيرة التى نرى فى الالماع إليها أتم كفاية لمن يهمه أمثال مباحثها
العمرانية والتاريخية

فإنهذه الأسباب يكون اقتناء كتابى هذا، والتكرم بالإطلاع عليه كتشجيع أدبى
لكل قارئ فيه حظ الارتياح وامتنان الشاء، لأن كل فرد من سائر الطبقات
المصرية يشترك لتبادل وتعميم هذه المباحث العمومية بقدر الارتباط العام لكل فرد
ممن أقلته أرض مصر ببركات النيل وفيوضاته



منابع النيل

« حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم »

قليل من المصريين من يشاهد عليه الاعتناء بالنيل ومعرفة تطوراته ، بحسب النظمات الحكومية التي طرأت عليه لمناسبات تحسين الري وحسن التصريف في كميات الفيضان ، وقل أن تجد حتى عند ذوى الاطلاع معلومات تدل على اهتمام القوم بهذا النهر الذى هو مصدر الثروة وينبوع الحياة ، بل إن أغلب الأمة المصرية لا تذكر شيئاً عن النيل إلا في أوان التحاريق بمناسبة التشديدات التي تتخذها مصلحة الري في وضع المناوبات واحتياجهم إلى تالى الأخبار المنبئة عن بدء الفيضان ، وهذا هو منتهى اهتمام الزراع وأرباب الأطميان الواسعة . وأما أغلبية الطبقات من الأمة حتى المشتغلين بالعلوم العامة في المدارس بأنواعها وطبقات الصناع والتجار ، فلا يحسبون للنيل حساباً ولا يهتمون بشيء من أخباره إلا في مقتضيات محدودة من الزمن ، مثل حفلة وفاء النيل وباقي الاعياد المتداخلة في أشهر الفيضان عند بعض الطوائف ، فإذا انقضت هذه المدة أغفلوا ذكر النيل جانباً ، كأنهم ليسوا من سكان واديه أو من القاطنين في أراضيه التي كرمها الله بالخصب والرغد وجعله لها مصدر السعادة ومهاد الثروة أفرد كثير من المؤرخين النيل بمباحث مطوّلة عن البعثات التي كلفت باكتشاف ينابيعه وطرق سريانه في الأودية ، ووسائل الانتفاع به وما تحويه مسالكه من المعادن والأتربة ذات الخواص وهذا المبحث مفيد من الوجهة العلمية التي تقبل المزيد من الوضوح ، كلما تقدم العقل العرفاني في ارتقائه ووصوله الى حقائق لم تكن معلومة من ذى قبل . وغرضنا في هذا الكتاب

البحث الآن عما كان للنيل من المزايا الخاصة المترتبة على عقائد وتقاليدها قداماء المصريين حسب اعتقادهم. فمن ذلك ما قاله هيردوت «إنما مصر هدية من هدايا النيل» وكلمته هذه الصغيرة تشمل وادى النيل بأسره لأن النيل كشر يان الحياة بفيضاناته الدورية التي يعبر عنها في أقاليم الصعيد بلفظة «دميرة»

والبداهة ترشدنا الى أن مجرى النيل وما يحيط بشواطئه كلها جزء اغتصبته سطوة النيل من مجموعة الاقاليم، واختص هذا الجزء المغتصب بالمتعضيات الطبيعية من الحصوبة، فجاء بحسن الانبات وامتناز بالموقع الثمين وأحسن المجهودات الانسانية التي ابتدع الأهالي طرائقها ووسائلها في تقسيم المناطق الى بلدان وحيضان وحدائق، واتخذوا لكل موقع ما يناسبه من الاحتياطات الزراعية، ولم يشيدوا المباني في البلاد إلا بأماكن محدودة من أطرافها، لتكون مناطق المزارع خالية من عوائق التقسيم والترتيب وحرية الانتفاع، وليكون أهل كل قرية عوناً لبعضهم في حقوق الجوار والارتفاق وصد الطوارئ جرياً على عادة المجاملات التي كانت راسخة في أخلاق المصريين قبل أن يتغلب عليها التقليد الأجنبي الحاضر الذي أفقد النفوس كثيراً من مزايا التعاون والمحبة والاخلاص

وكان قداماء المصريين يعملون للنيل احتراماً اعتقادياً، لكونه السبب الفعال في صيانة أرواحهم من مهالك القحط والجذب، وانتشار الفاقة واستحكام الضيق، إذ كان عوام الناس وخاصتهم مقبلين على الزراعة والاعتناء بها أكثر من كل شيء. ولم يكن الاعتناء بالصناعات والأحوال الأخرى الأدبية إلا في بعض المدائن التي كانت تقوم بالحاجة الكافية لمجموع الأهالي، وبهذا كانت التحارات على جانب من الرواج وأولوا البراعة في العلوم كانوا على منتهى درجات الاحترام والتوقير، اعترافاً بفضلهم وتشجيعاً لدوى الاستطاعة على أن يحذو

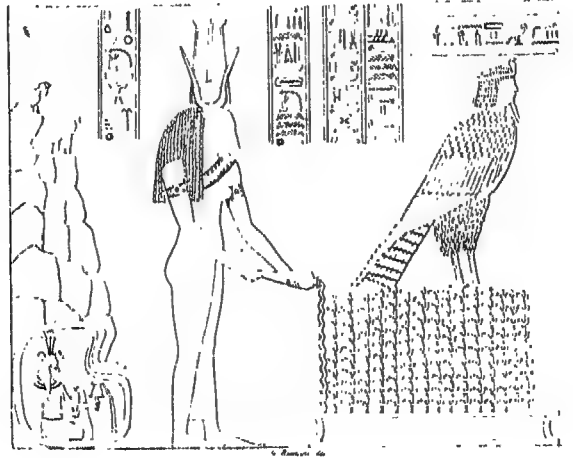
النجباء حذوهم في فضلهم ومعارفهم . وكانوا يقدمون للنيل بعض اعتبارات كالعبادة ويسمونه (جمعي) أى الآله المقدس

وعدم إمام المصريين القدماء بمعلومات عن منابع النيل كان شأنًا عامًا، ولا يمدونه تقصيرًا في الوجهة العلمية . وقد لاحظ ذلك المؤرخ الشهير هيردوت الذى قدم لمصر قاصداً البحث ، وجمع الاستدلالات في هذا الشأن حتى قال لم يعرفنى أحد شيئاً من منابع النيل ، وأيدت رأيه أنشودة النيل القديمة التى كانوا يترنمون بها في المواسم والأعياد ويعتفون فيها « بأن النيل آت من الظلمات »

وذكر في كتاب الموتى « ان النيل مولود من رع » أى الشمس التى هى أكبر الآلهة عند المصريين القدماء . ويقرب من هذا المعنى أنه وجد مكتوبا في ورقة بردية (من ضمن أوراق كتب التحنيط) نص بالمعنى الآتى (في بطاقة عند مقبرة أحد الموتى) : « انك أيها الراحل في لحد الخلود ، سيفيض عليك النيل في مضجعك الأخير أثراً من بركاته ، لأن ماءه آت من مدينة أبو (أى جزيرة أسوان) ، وهذا النيل ينبفجر من هُوتِه ، هذا (نو) الخارج من ينبوع صخرى كأن الفيضان يفور من خزائنه والمياه تتدفق من ينبوعها » وقد قال المؤرخ هيردوت ان أمين معبد الآلهة (نيت) بمدينة سايس أخبره بأن بين مدينة (سبين) بطيبة ومدينة جزيرة أسوان جباين أولهما يدعى باللغة المصرية القديمة (كروفي) أى هوتِه والثانى (موفى) أى مياهه . وبين هذين الجبلين تتفجر منابع النيل من هوة عظيمة وينصب الماء منها طبقاً لطبيعة الحواجز الصخرية هناك الى شطرين أحدهما الى مصر فى الشمال والآخر الى أثيوبيا فى الجنوب

وقد اجتهد هيردوت لما أتى مصر بمباحثه العلمية من الوجهة الجغرافية

وعالج كثيراً من طبقات الكهنة ، فلم يبوحوا له بشيء من معلوماتهم إلا فيما يتعلق بعظمته المشهورة ومكانته الراسخة في النفوس كمعبود يؤدون له فرائض العبادة والاجلال ما استطاعوا ، وخصوصاً في الأوقات التي حددوها لذلك عند بدئه في الزيادة وبلوغه منتهى الفيضان ومبادئ تصريفه في الأقاليم ، ورتبوا على ذلك الأعياد والمواسم الشهيرة التي لازالت تراعى في الاحتفالات والمظاهر السنوية ترحيباً بوفائه ، وشكراً لما يقدقه على الأرض من نعيم الخصوبة والرغد



وقد اكتشفوا في معبد بيلاق الذي شيده الامبراطور (تراجان) ، واحتفظ عليه خلفاؤه من بعده رسماً يمثل لنا الإله جمعي (النيل) في مخبئه ، وتفسير هذا الرمز انه يوجد فوق صخور مرتفعة عليها رسماً الصقر والباشق ، وفي حجرة يرى بداخلها هيكل إلهي للإله راعع ، حاملاً في يديه آنية تخرج منها فيوضات النيل المباركة . ويجد الرائي مرسوماً على رأس الحجرة حية ملتفة على نفسها ، وبين رأسها وذنبها منفذ ضيق لمرور النيل . وهذا الرسم فسره كاهن مدينة سايس للمؤرخ هيردوت بأنه منتهى معلوماتهم عن منابع النيل ، فهو فيض من عند الله لم تصل استطاعة أمثالهم لاكتشاف أوائله غير ماهو مشاهد

للزائرين في أطراف وادى النيل . ويقصد الكهنة بذلك وقوف الأمة عند هذه النقطة وعدم التطلع الى مباحث أخرى

وكان علماء المصريين مع كثرة الرموز العامية وسعة المعلومات المحفوظة في الصدور ، والرموز اليها في بعض المخلدات الأثرية لا يسمحون لمعاصريهم ولا لزائريهم من غجاج الممالك بالتوسع في مباحث عن ينابيع النيل وأوائل مصدر فيضيه ، لأنهم يعتقدون سعة البحث في ذلك ممنوعة دينياً ، وتعرض المشتغلين بها لحلول النقمات التي تنذر بها الكتب المقدسة ، كل من يسعى الى عمل يؤدي إلى كفر أو ضلال . وكانوا يعتقدون أن النيل فيض من البركات الإلهية يتنزل من السموات العلا الى عالم الأرض فيكون منها الرغد والسخاء وصلاحية الأرض لكل نبات يحتاجه الانسان في أدواره المعاشية . ولهذا كانوا يسمونه أب الآلهة (أتيف نترو) . ولم يلتفت قدماء الباحثين من المصريين الى أسباب الزيادة في النيل في أزمئة الفيضان ، لاعتقادهم انه قدسى في تكوينه وفي تأثيره وفيما تبصر الخلائق عنه ، لأنه سر من فيض البركات الإلهية ، اختص الله بها هذا الوادى السعيد ، وجعله الى الأبد مصدر الرفاهية والسعة والإغداق بأنواع الأرزاق التي تنفي باحتياجات قاطنيه ، وبسد العوز لكل الطبقات التي تأوى اليه ويمجدون فيه ومن سجايا أهله حرماً آمناً .

وقد اجتهد علماء المباحث المصرية عن النيل وينابيعه ومصادره العليا ، مثل هيردوت وسترابون وديودور الصقلي ، وعلماء الرومان كماؤرخ بلين وسنيك وغيرهم من الفلاسفة ، فلم يستطيعوا سوى الوقوف عند ما ألقاه اليهم الكهنة عن عظمة النيل ، وانعجابه ترجع الى قدسية مصدره الالهى ، فاضطروا للإذعان خاضعين لعقائد وتقاليد قدماء المصريين في شأنه ، ولم يتجاوزوا في مباحثه الى ما وراء الشلالات . والى ذلك أشار هيردوت بقوله أن النيل

يعرف مبدؤه بعد سفر أربعة أشهر سواء كان ذلك براً أو بحراً، وهى المدة التى كان يستغرقها المسافر فى وصوله الى جزيرة اسوان .

واستمر الناس على الاعتقاد بان ينابيع النيل مما يعسر على الباحثين حل غوامضه الى عصر الرومان، فأرسل نيرون بعثة رسمية لاكتشاف هذه المنابع، فوصلت بعد مستنقعات واسعة الى صخرين تجرى فيهما المياه فظنوهما المنابع الأولى للنيل وعادوا يتوهمون لا أنفسهم الظفر بما لم يستطيع غيرهم الوصول اليه.

وقال بلين أن منبع النيل آت من موريتانى (Mauritanie) الواقعة شمال افريقية، وقال سنيك أن منبعه يبتدىء فى ضواحي مدينة بيلاق، وقال المؤرخ لوكين أن منبع النيل الحقيقى لم يعرفه أحد فى العالم، وواقفه على ذلك المؤرخ اميان مرسلان أحد علماء القرن السابع للمسيح . وان منتهى ما وصلت اليه الاجتهادات وتجوال البعثات فى رحلاتها أن منابعه آتية من بحيرات افريقيا الوسطى . وكان قدماء الباحثين يضربون الأمثال بمعرفة منابع النيل فى استحالة الوصول الى غرض يرضى ويقنع الباحثين

وقال المقريزى فى وصف مصر أن النيل يظهر على الأرض بقرب وادى القمر الواقع بقرب الاستواء . وقال جرانفيل أن النيل فردوس أرضى . ولا تزال هذه العقيدة عند قدماء النوبيين رغماً عن توالى السنين وظهور الاكتشافات العلمية التى تحتم بمقتضاها أن يتحول الناس عن عقائدهم الأولى التى توارثوها فى أجيال ماضية

خطاب أحد رؤساء كهنة قدماء المصريين

الى بولبوس قيصر الرومانى

بشأن منابع النيل

من المعلوم أن حقوق الاستعمار تحتم على القائمين به البحث فى الأقاليم التى يحتلونها عن منابع ثروتها ومصادر رغدها وأساليب مجدها ، ليتخذوا لهم فى هذه المصادر سطوة فعالة ، لتخضع النفوس الى إرادتهم بدون أن يتجشموا فى هذا الاخضاع معاناة شاقة ، لأن الاستعانة بما يعد من ضروريات الطبيعة فى ترويج الاستعمار من ضروب السياسة التى يتفنن فيها مهرتهم لاجتذاب الشعوب وتسخيرهم . وعلى هذا المبدأ افكر الرومان أن يتخذوا أساليب الاستعمار المعتادة مع الكهنة البارعين فى عصر قدماء المصريين ، وابتدأوا يخبرونهم عن مصادر النيل وينابيعه ليستدرجهم بعد ذلك الى صيرورتهم فى قبضتهم ، وليبوحوا لهم بطرق الدهاء وأساليب السياسة عما استأثروا به علماً حتى يتوصلوا بذلك الى السلطة الفعلية فى هيمنة الأعمال وتسخير الظروف الى ما يشاؤون .

وقد جاء فى أنشودة النيل ما يشير الى أنه بطبيعته فيض سماوى ، يحى به الله الأرض بعد موتها ، وان ارتسام هذا المعنى فى خيالات الكهنة مكنهم من اختراع الروايات والأقاصيص ليحفظوا لأنفسهم مركز الاختصاص بالمعلومات الدقيقة ، وليخلدوا لهيمنتهم على الشعب صفة أدبية أبدية

وقد روى الكهنة للمؤرخ اليونانى هيردوت فى القرن الخامس ق . م وليوليوس قيصر الرومانى فى القرن الأول ق . م أقاصيص نظمها الشاعر الرومانى ليكين (Lucain) باللاتينية ، وسردها بأسلوب خطاب بعثه رئيس

كهنة قدماء المصريين الى يوليوس قيصر الرومانى بشأن هذه الينابيع ويحق لى التنويه بأنى أول من وفق إلى ترجمته الى اللغة العربية وإليك فخواه بالاختصار .
« أخطأ الأقدمون فى تعبيرهم بأن النيل يزداد فيضانه عقب ذوبان الثلوج فى جبال اثيوبيا ، لأن سكان تلك الجهة من حرارة الشمس تبدو جلودهم سمراء ، كما أخطأ الزاعمون بأن منابع الأنهار المتكونة من ثلوج يذيبها الحر وتزداد فى أوائل فصل الخريف ، لأن النيل لا تبتدى زيادته قبل أن ترسل نجمة الشعرى اليمانية أشعتها إلى الأفق ، وقبل أن يتساوى فى ميزان الأفلاك زمن الليل والنهار »

« فنواميس النيل ليست كنواميس بقية الأنهر ، ولم يزد فيضانه فى الشتاء . فبعد ابتعاد الشمس عن درجات المقارنة الأقيية لها فى فصل الصيف تتدفق المياه بنسبة تعويضه عن ذلك . وقد اختص النيل بلطافة حالة الجو ، فهو يفيض فى منتصف الصيف حينما تكون منطقة الأرض الحارة مانعة عن الحيلولة بتأثير القيط ، فيأتى النيل مساعداً للعالم فى ارجاء واديه ، وقد يتجه أمام وجه برج الأسد المتأجج بالحرارة ، ويبادر بلدة سبين (Syène) المحترقة ببروج السرطان فلا ترتفع مياهه قبل نزول الشمس فى الخريف ، ويتسع الظل فى بلدة مروى (Mérécé) (وهى بقرب شندى عاصمة المملكة المصرية بالسودان) فلن يستطاع بيان السبب لسعة وادوار فيضك أيها النيل لأن القدرة الإلهية هى التى نظمته بقدر حاجة العالم اليك »

« وأخطأ القدماء أيضاً فى نسبتهم زيادة الفيضان إلى هبوب الرياح فى وقت طويل ، تكون الأمطار فيه مجبورة على أن تجود بقطراتها على هذا النهر وتدفعه بلا انقطاع الى المنافذ الكبيرة التى تسيل على شواطئ البحر الأحمر ، ولوجود حواجز أمامه تعوق سرعة انحداره ، ويتدفق فى الجداول والجهات

التي تستفيد مزارعها وحقولها لوصول فيوضاته اليها»
«ومن الخطأ أيضاً التصديق بأقوال من زعموا أن فيض النيل ناتج عن
قنوات مارة تحت الأرض ، أو ثقوب مفتحة الأفواه في حفر واسعة تنحدر
اليها المياه في مسافات عميقة آتية من الجهات الباردة في الدب الاكبر وسط
قطب الدنيا ، وان حرارة الشمس لما تضعف عند بلدة مروي تجلب مياهها
وتجذب النهرين الكانج والألب بمسالك خفية يقذف عندها النيل تدفقاته
إلى هذه الأنهار في منبع واحد ، ولكنها لا تستطيع السريان في هوته فيدمج
الأرض حين يغمرها ، وينتزع من بعض طبقاتها الأملاح الكامنة في
طول مجراه»

«وظن البعض أن الشمس والهواء يجتذبان الماء من المحيط ، ولما تصل
الشمس الى المنطقة الحارة أمام برج السرطان ينشق المحيط ، يأخذ مياهها
أكثر من الجو ، وهذه الزيادة تنقلها الأعاصير إلى النيل»
«وأرجوكم أيها القيصرون أن تسمح لي بأن أشرح لك تحليلات هذه المسألة
المويسة فأقول :

« أن مياه النيل منذ بدء الخليقة تتسرب من عروق في الأرض ، أوجدها
الله لتكون مجراه الطبيعي ، تسيره القدرة الالهية بأنظمة وقوانين فوق مقدورات
أمثالنا وأمثالكم . أتريد ياروماني معرفة منابع النيل ، وقد اهتم قبلك بالبحث
في موضوعها الملوك المصريون الجبابرة والعجم والمقدونيون منذ أجيال ، ولم
يتغلبوا على قوة الطبيعة في شيء وأراد اسكندر ذو القرنين أكبر ملوك الأرض
في عهده والمعبود الأعلى في مدينة ممفيس معرفة منابع النيل ، فأرسل بعثة في
أواخر إثيوبيا ، وهناك عاقبت حرارة الجو الملهب . وذهب سيزوستريس الى
الغرب والى أقاصى الدنيا تجرُّ الملوك عربته وكان في استطاعته أن يشرب من

منابع أنهاركم (كالرون والبو) فإن ذلك أسهل عليه من أن يشرب من منابع النيل. ووصل كمينز الأحمق الى الشرق بين الذين يعمرّون طويلا ، ولما غابت عنه المؤونة ذبح رجاله والتهمهم بدون أن يعرف منابع النيل ، ولم يستطع أحد في القصص والروايات الوصول الى مقر منبعه ، ولم تدخر الأمم وسعاً في السعي الى اكتشاف منابع النيل . وانى أدرك حكمة الآلهة الذين أرادوا صيانة مجراك أيها النيل ، من أن يستطيع أحد الوصول الى منتهاك البعيد المدى ، فانك تقوم وسط قطب العلم ناصباً شواطئك أمام برج السرطان المضطرب ، فتسرى الى الجهات ، وتراك فيها الشعوب القاصية والدانية ، وتبحث القاصية عن منبعك ثم تعود مقهورة الى حقول اثيوبيا المرتوية من مياهك الغربية ويجهل العالم منبعك » « وقد أعطيت وحدك أيها النيل حق الامتياز لتسير من قطب لآخر .

يبحث الناس في بداية مجراك ونهايتك ، تتسع مياهك ثم تضيق لتحيط مروى ، وسكانها قوم سود الوجوه يفتخرون بغاباتهم المملوءة بخشب الأنوس الكثيرة الأوراق ، ولا يوجد هناك ظل يخفف حدة الحرّ ما دام برج الأسد يرسل حرارته على خط مستو على وجه الأرض ، فتمر في منطقة الشمس بدون أن تضع شيئاً من مائك . تدعو قريباً تحت طبقتك مياهك المقسمة الى حدود قبائل العرب وأراضى ييلاق (فيلا) التي هي منتهى حدود مملكتك المصرية . وعند ميلك تخطط الصحراء بممر التجارة بين البحر الأحمر وجبال ليبيا »

«أرئنا لجح النيل عند ما تحتد ، فيلاق مجراها في مسيره عراقل وشلالات سريعة تعترضها بمض الصخور في الصحراء ، ولكن لم يوقف مياهك شيء حينئذ تلقى الزبد حتى الكواكب ، وكل شيء يخشى اضطراب أمواجك ويتذر الجبل تحت بياضها احتراماً لأنك النهر الذي لا يقهر ، وبعد ذلك تظهر الأرض المقدسة والصحراء المعروفة بشرايين النيل لأنها تبشر بالفيضان في

أوائله عقب أن أغلقت الطبيعة أبواب المجارى بمياهك المنشرة عن دخول بلاد ليبيا بحاجر الجبال فى هذا الوادى العميق الذى فيه يجد مجراك نظامه المألوف ويتقدم بهدوء وسكينة، ويتبدى من مدينة ممفيس التى تسلم اليك حقولها وتفتح أبواب السهول والوديان، ولا يوجد على شواطئك حواجز تعتبر حداً لفيضاناتك»

« بحث العالم القديم والحديث فى منابع النيل »

فوق المزايا العامية والصناعية التى امتازت بها مصر فى قرونها الأولى قرون العظمة والاسعاد، والتفوق الباهر على سائر الأمم، خص الله هذا الاقليم بالنيل المبارك، وهو اكبر المنن الالهية التى جعلت كافة مواهب البشر أمامها لا تكاد أن تكون شيئاً مذكوراً. فالنيل هو ينبوع الحياة ومهد الارتقاء ووسيلة الحياة الخالدة ورغد العيش المزيد. فكما آمن الباحثون فكرتهم فيما نقله أرض مصر من العجائب الصناعية والهياكل والآثار والمباني التى قاومت العصور ظاهرة فوق بعض المواطن وتحت بطون الأرض فى غيرها، يرتد اليهم طرف مجهوداتهم الفكرية حائراً ذاهلاً، كلما رأى النيل يتماوج باعاجيب المناظر ويتدفق فى مجاريه بأوفر الخيرات على بلاد أسعدتها الطبيعة بأن يفيض عليها من كنوزه وخيرات ما جعلها تمتاز بسعة الخصب وقوة النماء. وإن أهاليها كلما جدوا فى الأعمال الزراعية، جادت عليهم بأضعاف ما كانوا يتمنون فى مبادئ أعمالهم، فينشطون على الدوام الى التوسع فى استخدامها بقدر ما تشجعهم عليه سعة الآمال، فلا تضن الأرض بما استودعت من المزايا ولا تسكل السواعد ولا الهمم عن اجتثناء أطيب الثمرات واحراز الأرباح الوافرة. وهكذا كان المصرى وبلاده فى دور نشأته الأولى وسعادتها الماضية كل على

صاحبه يحود بأقصى المنح ، فتجدد للأراضى زيناتها النباتية وتنوع لأقوام الشعب موارد ثروتهم المالية

كانت مصر بهذا الاعتبار مصدراً للمعجزات العقلية ، لأن خصائصها الشهيرة ومميزاتها المدهشة لم تجتمع في غيرها من الأقاليم ، وكفى أن منابع النيل وأدوار فيضيه وتطورات انتقاصه واستمرار مجاريه على حالة لا تعوقها الرواسب ولا كميات الرمال التي تذروها الرياح في المناطق قد جعلت ألباب الباحثين حيارى . وطالما عاق الأقدمين الوصول الى حل مسائله العويصة ، ولكنهم وقفوا أمام أقاويل وآراء كل فريق يدلى فيها بحجته التي يؤيد بها رأيه على رأى مناظريه وامتدت بالقوم العصور الغابرة بدون أن يصلوا في هذه النقط الى تمحيص نهائى يرفع النقاب ويزيل الشكوك

وروى في عصر فايثون الخرافى رواية أشبه الى الخيال منها الى الحقيقة ، إذ قيل فيها أن النيل كأنه لما رأى قرب الشمس من الأرض خشى من احتراقه بلهبها فأخفى رأسه في آخر الكرة الأرضية . والى القرن السابع عشر ق . م لم تصل مباحث المؤرخين الى رأى سديد فى حقيقة ومبادئ منابعه

وقد أفرغ الفراغة مثل سيزوستريس (رعمسيس الثانى) وغيرهم جهداً كبيراً من عنايتهم للوقوف على حقيقة الينابيع فما استطاعوا . ولما قدم الى مصر هيردوت وابتدأ مباحثه عن الينابيع لم يرشده أحد ، وذكر أن بسامتيك أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ألف بعثة مكونة من ٢٤٠٠٠٠ رجل ، وأمدّها بكل ما تحتاجه لتسهيل العقبات فى مسيرها والوسائل الصناعية الأخرى فى نقل الأحمال والمؤن والوسائل الدفاعية اذا صادفها شىء من ذلك ، وترتيب وصول المعلومات منها اليه عن الأقاليم التى تجتازها ، والمناظر التى اهتمت اليها وعجائب الأودية والقبائل ، وأمدّها بسعة الاغداق والمعونات

الكبرى لتغلب بالبذخ والسخاء والمعدات الكثيرة على انجاح مأموريتها،
فقضت فيها بعض السنين وعادت من حيث أتت ولم تدون غير اكتشافات
جغرافية عن بعض المواقع في تلك المجهول . ثم استحكمت هذه الفكرة
لدى اسكندر المقدوني وكبيز، ورتب كل منهم في عهده رحلة خاصة وأمدّها
بأساليب أقرب في الوصول الى الغاية المطلوبة وأسهل منالاً في الاستكشافات
والتوسع في المعلومات ، فعادت كباقي البعثات الماضية راضية من الغنيمة بالإياب
وفي القرن الثالث ق . م . في عهد بطليموس افرجت (Ptolemy)
تكلم المؤرخون عن منابع النيل ، فكانت آراؤهم متطابقة مع المعنى الذي أورده
الشاعر الروماني في كتابه المعروف بالفرساي (Versailles) على لسان يوليوس
قيصر أن النيل يخفي رأسه عن الانظار كحساء لا تبرح عن دلالها مهما أطل
اليها المشوق الضراعة والاستعطاف . فالنيل يستعز في مجاريه فياضاً متدفقاً
بينما أفكار الباحثين تكدّ وتجهد وتعود بالملل والضعف

وفي القرن الأول ق . ب . أبدى « جوبا » ملك « موريثانيا » رأيه
عن منابع النيل وتبعه فيه بلين وميلا والمؤرخ ديون كاسيئس وهو أن منابع النيل
القاصية لتمعقها تحت الصخور والتجاويف العميقة بتلك الأودية والوهاد،
لا يستطيع أفراد البعثات التي تنتدب من أجله خوض غمار تلك المياه، وفي
هذه المنابع الفجوات التي تتفاوت بين الضيق والسعة والمنعطفات الطويلة
إلا إذا تطوعت بحياتها للخطر الذي لا يحتمل معه عود بعض أفرادها لينبئ
الباقين عما رأت عيناه ووعته ذاكرته من هذه المناظر وعجائب تكوينها

وقال بطليموس الجغرافي المولود في القرن الثاني ق . م . إن منابع النيل
تلتقي في بحيرتين كبيرتين بأشحاء خط الاستواء ، ولا يستطيع الغرباء التجول
الى ما وراءها، لأن الأذهان ممتلئة بالروايات المنفرة عن وجود الوحوش

والحيوانات الضارية التي تقتك بكل من أراد المسير في غاباتها أو مغاورها
جاء العرب بعد اليونان خلفاء لهم في الاستعمار، وحكموا مصر واستولوا
على بلاد النوبة وغيرها من البلاد المجاورة لمنابع النيل، وأحكموا صلاتهم
التجارية والسياسية مع السودان وشعوب افريقيا الجنوبية، واتخذوا هذه
التمهيدات وسيلة لوصولهم إلى ما عجز عنه أسلافهم في تلك الأقاليم المجهولة
ومن مشاهير العرب الأجلاء الذين صرفوا وقتاً مديداً وعزماً صادقا في
الوقوف على معلومات صحيحة بشأن منابع النيل الإمام الشهير احمد بن محمد
ابن عبدالسلام المنوفي نسبة إلى منوف في نهاية القرن التاسع الهجري، وكان
إماماً في العلوم الإسلامية وتواريخ الأمم، احترامه كثير من العلماء وأئمة البحث
وعظماء الشعوب، ونقلوا عنه في مؤلفاتهم. وكان يثبت لتلامذته ان العلم
الصحيح والتقوى توأمان، فمن لم يزد عقله بقوة الايمان الذي هو فوق نواميس
الطبيعة يكون دائماً في تردد الحيرة والضلال. دوّن هذا المؤلف الشهير كتاباً
عنوانه « الفيض الجديد في أخبار النيل السعيد ». وتوجد منه الآن نسختان
خطيتان احدهما في دار كتب مرسيلىا، والثانية في دار الكتب المصرية
بالقاهرة، تكلم فيه عن منابع النيل وأصله واستمداده وطوله وعرضه، وتضمن
ابحاثاً وافية فلخص منها ما أورده من الفوائد في الباب الأول (في الفصل الآتى)
ثم جاء نابليون مصر مع بعثة علمية بحثت في أحوال البلاد وأمورها
ودونت عنها مؤلفات كثيرة ولكنها لم توفق للبحث عن منابع النيل
وفي سنة ١٨١٩ أرسل محمد على باشا بعثته العلمية الشهيرة يرأسها
جالياردو المهندس الفرنسى، فسافر الى الخرطوم وقال في مذكرته أن منابع
النيل تبتدىء من جبال القمر

وفي سنة ١٨٥٦ توسع في الاستكشاف كل من الباحث برتون وبيك

ويكر الى ما خلف بحيرتى (فكتوريا والبيرنيانزا)، وتحقق أخيراً انهما أهم المنابع التى يتكون منها النيل . وقد ساعدت الاكتشافات الأخيرة رجال أوربا على التجول فى أواسط أفريقيا ، واستطاعوا الوصول الى قول عزروه ببراهين الاكتشافات والرحلات المتوالية فى هذه الأقطار ، وكلل النجاح سعيهم وكانوا مصداقاً للمثل القائل بأن من لازم السير فى الدرب وصل الى مرحلة النجاح . (كما سيأتى بيانه تفصيلاً)

« رأى العرب فى منابع النيل »

وفاء بما أجمعناه فى هذا البحث نثبت هنا ما جاء فى كتاب « الفيض الجديد فى أخبار النيل السعيد » تأليف الشيخ العالم احمد بن محمد بن عبد السلام المنوفى فى ذكر منابع النيل الذى هو من اكبر الثقة فى المباحث العلمية ذكر المؤرخون فى أصل منبعه من مبتداه الى منتهاه أقوالاً فقال اكثرهم ومنهم الحافظ بن كثير فى تاريخه الكبير إن مبتداه من الجبل القمَر (بضم القاف وسكون الميم) أى البيض ، ومنهم من يقول « جبال القمَر » (أى بفتح القاف) بالاضافة الى الكوكب وهى غربى الأرض وراء خط الاستواء فى الجانب الجنوبي . ويقال انها صخور تنبع من بينها عيون ثم تجتمع من عشرة مسيلات متباعدة ، ثم تجتمع كل خمسة منها فى بحيرة ، ثم يخرج منها أنهار ستة ثم تجتمع كلها فى بحيرة أخرى ثم يخرج منها نهر واحد وهو النيل فيمر على بلاد السودان بالحبشة^(١) ثم على النوبة ومدينتها العظمى دنقله ثم

(١) تسمى كلمة الحبشة شعباً خليطاً أعطى هذا الاسم لهذه البلاد بسبب الشعوب المختلفة الذين اختلطوا بأهلها الأصليين . وينبئنا التاريخ أن الحبشة أستولى عليها بالتتابع الاثيوبيون وقدماء المصريين واليهود والعرب . اهـ

أعلى اسوان ، ثم تظهر على ديار مصر ويحمل إليها من زيادات أمطارها ، ويجرف من ترابها وهي محتاجة إليها معاً ، لأن مطرها قليل لا يكفي زروعها وأشجارها ، وترتبا رمال لا تنبت شيئاً حتى يحى النيل زياداته وطينه ، فينبت فيها ما يحتاجون إليه وهي من أحق الأرض دخولاً في قوله تعالى : « أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه الأنعام وأنفسهم أفلا يبصرون » ، ثم يجاوز النيل مصر قليلاً فيفترق فرقتين عند قرية على شاطئيه يقال لها شطنوف وهي من عمل القليوبية ، فيمر الغربى منه على رشيد ويصب في البحر الملح ، وأما الشرق فيفترق أيضاً عند جوجر فرقتين يمر الغربى منهما على دمياط من غربيها ، ويصب في البحر الملح ، والشرق منهما يمر على أشمون طناس فيصب هناك في بحيرة شرق دمياط يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دمياط^(١) ، وهذا بعد بُعد عظيم من ابتدائه إلى انتهائه ولهذا كان ألطف المياه

(وقال ابن القيم في كتاب الهدى) : النيل أحد أركان الجنة ، أصله من وراء جبال القم في أقصى بلاد الحبشة من أمطار تجتمع هناك وسيول يمر بعضها بعضاً ، فيسوقه الله تعالى إلى الأرض الجرز التي لا نبات بها ، فيخرج به زرعاً تأكل منه الأنعام والآنعام ، ولما كانت الأرض التي يسوقه سبحانه إليها ألبيناً صلابة ، إن أمطرت مطر العادة لم ترو ولم تنهياً للنبات ، وإن أمطرت فوق العادة أضرت الناس والمساكن ، وعطلت المعاش والمصالح ، فأمطر سبحانه البلاد ليعيده ثم ساق تلك الأمطار إلى هذه الأرض في نهر عظيم ، وجعل سبحانه زيادته في أوقات معلومة على قدر رى البلاد وكفايتها ، فإذا

(١) بحيرة تنيس أو بحيرة دمياط معروفة اليوم ببخيرة المنزلة

(٢) يقول جغرافيو العرب ان هذه البحيرة أصل نهرين الاول نيل السودان والثاني نيل مصر

روى البلاد وغمرها أذن سبجانه بتناقصه وهبوطه لتتم المصلحة بالتمكن من الزرع
وقال قدامة ان منبع النيل في بلاد القمر وراء خط الاستواء من عين
تجرى منها عشرة أنهار كل خمسة منها تصب في بطيحة في الأقليم الأول ،
ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل

وقال صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ان هذه البحيرة
تسمى بحيرة كورى^(١) منسوبة الى طائفة من السودان ، يسكنون حولها
متوحشين ، يأكلون من وقع اليهم من الناس . ومن هذه البحيرة يخرج
نهر النيل ، وإذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى^(٢) ثم بلاد قنّه طائفة من
السودان أيضاً وهم بين كانم^(٣) والنوبة ، ثم يغوص في الرمال ويمر تحت
الأرض مكتوماً من الجنوب الى الشمال ، ثم يظهر ببلاد النوبة ، فاذا بلغ مدينة
دنقلة عطف من غربها إلى المغرب ، وانحدر الى الاقليم الثاني ، فيكون على
شاطئيه عمائر النوبة وفيه جزاير لهم متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى
الجنادل واليه تنتهي مراكب النوبة انحداراً ومراكب الصعيد الأعلى صعوداً
وهناك أحجار لا تمر المراكب عليها إلا في أيام زيادة النيل ، ثم يأخذ إلى
الشمال فيكون على شريقه مدينة اسوان من بلاد الصعيد الأعلى ، ثم يمر بين
جبلين هما مكتنفان لأعمال مصر أحدهما شرقي والآخر غربي حتى يأتي مدينة
مصر وهي الفسطاط الذي بناه عمرو بن العاص ، فيكون على شريقه ، فاذا
جاوزها انقسم كما تقدم . قلت أى في قوله فيفترق فرقتين عند قرية على شاطئيه
يقال لها شطنوف إلى آخر ما ذكره

قال صاحب الأقاليم السبعة أن النيل يخرج أصله من جبل القمر من

(١) تحوى بلدة كورى البلاد المجاورة لقبلى كردفان

(٢) تمتد كانم قبلى شرق برنو البلاد المجاورة للنوبة

عشرة عيون ، خمسة يجتمع في بطيحة وخمسة في بطيحة أى مكان منبسط من الأرض ، ثم يجتمع بعد ذلك الماء ان وذكر صورة جبل القمر وانه مقدس وعلى رأسه شراريف (شُرُفَاتٌ عالية)

حكى ذلك عنه الشيخ العلامة شهاب الدين بن عماد رحمه الله تعالى في جزئه الذى جمعه في النيل وهو جزء لطيف جداً . وحكى فيه عن المسعودى أنه قال في كتابه (مروج الذهب) وأصل النيل ومنبعه من تحت جبل القمر ومبدأ ظهوره من اثني عشر عيناً وجبل القمر خلف خط الاستواء يعنى الذى يستوى فيه الليل والنهار ، وأضيف الى القمر لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته وتقصانه بسبب النور والظامة والبُدُوَى والمحاق

قال المسعودى فتتصب تلك المياه الخارجة من الاثني عشر عيناً الى بحيرتين هناك ، وهو معنى كلام صاحب الأقاليم في بطيحة

قال ثم يجتمع الماء منها جاريًا ، فيمر برمال هناك وجبال ، ثم يخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج فينبع منه خليج ينتهى إلى بحر الزنج^(١) انتهى ما أردته منه

ومن قال بانه ينبع من جبال القمر السرج الكندى كما نقله عنه ابن عماد في جزئه المذكور ، فظهر بذلك أن أكثر المؤرخين على هذا القول كما أشار اليه صاحب الأصل بقوله فيما تقدم ذكر غير واحد من المؤرخين

وقال صاحب السكردان وفي أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال الشليج وهو بجبل (ق) ، وأنه يخرج البحر الأخضر^(٢)

(١) يقيم الزنوج في الجزء الشرق من افريقيا المعروفة باسم زنبار

(٢) دعا جغرافيو العرب النيل الشرق تارة البحر الازرق وتارة البحر الاخضر .

بقدره الله تعالى ، ويعر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شاء الله الى أن يأتي بحيرة الزنج

قال الحاكي لهذا القول ولولا ذلك يعنى دخوله في البحر المالح وما يختلط به منه ، لما كان يُستطاع أن يشرب منه لشدة حلاوته

وقال قوم مبدأه من خلف خط الاستواء باحدى عشرة درجة . وقال قوم مبدأه من جبال القمر وأنه ينبع من اثني عشر عيناً انتهى ما أردته منه وقال ابن عماد في جزئه المذكور وذكر بعضهم أن سائر مياه الأرض وأنهارها يخرج أصلها من تحت الصخرة^(١) بالأرض المقدسة والعلم عند الله تعالى انتهى . ولم يبين قائل ذلك وقد بينه في موضع آخر من جزئه المذكور فقال وذكر الثعالبي في قصص الأنبياء أن جميع مياه الأرض يخرج أصلها من تحت الصخرة انتهى . ويدخل في اطلاق هذا القول النيل وغيره

وذكر ابن عماد في جزئه المذكور عند كلامه في الاستدلال على أفضلية النيل على غيره من الأنهار ، أن النيل يخوض في البحر المالح ولا يختلط به ، بل يجري تحته متميزاً عنه كالزيت مع الماء ، قال ولهذا يظهر لركاب البحر في بعض النواحي فيستقون منه للشرب وذلك في أماكن معروفة انتهى ورأيت في مناقب أماننا الامام الأعظم والحبر المحترم الشافعي رضي الله عنه لأبي القاسم بن غانم المقدسي حكاية عنه تدل على أن النيل يمر ببلاد الهند وسيأتي كلامه في الفصل الثاني ان شاء الله تعالى والله أعلم

وكان بن طولون قد سأل شيخاً كبيراً من علماء القبط عمره مائة وثلاثون سنة عن أشياء في أحوال مصر أين ينتهي النيل في أعلاه ، فقال بالبحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو الأرض التي الليل فيها والنهار متساويان

طول الدهر ، وهى تحت الموضع الذى يسمى عند المنجمين الفلك المستقيم .
قال وما ذكرت فمعروف غير منكور . قلت قد اختصر صاحب الأصل هذه
الحكاية ، وقد نقلها الشهاب بن عماد فى جزئه المذكور عن المسعودى فقال :
قال المسعودى

« وكان احمد بن طولون فى سنة نيف وستين ومائتين بلغه أن رجلاً بأعلى مصر
من الصعيد له ثلاثون ومائة سنة من الأقباط ، ممن يشار اليهم بالعلم ، وأنه
علامة بمصر وأرضها فى برها وبحرها واجنادها وأجناد ملكها ، وأنه ممن سافر
الأرض وتوسط الممالك وشاهد الأمم فى أنواع البياضان والسودان ، وأنه ذو
معرفة بأنواع هيئات الأفلاك وأحكامها ، فبعث اليه أحمد وأخلى له نفسه
ليالى وأياماً كثيرة يسمع كلامه وإيراده وجواباته ، فكان فيما سأله عن طول
الاحابش على النيل وممالكهم قال : لقيت من ملوكهم ستين ملكاً فى ممالك
مختلفة ، كل منهم ينازع من يايه من الملوك وبلادهم حارة يابسة . قال فما انتهى
النيل فى أعلاه فقال البحيرة الى آخر ما ذكره عنه صاحب الأصل والله أعلم
وقال أبو محمد عبد الله بن احمد الاسوانى فى كتاب أخبار النوبة من
أخبار النيل ، وما شاهدت منه ومن تشعبه وتقسيمه على سبعة أبحر من بدء
علاوه واجتماعه ببلدة مقره وتعطفه تعطفاً عجيباً قبلى مدينتهم واقتراشه ، وأنه
يجرى بحرى دقيلة حتى يكون ما بين شرقيه وغربيه نحو أربعين فرسخاً
ويتضابق بعد ذلك حتى يكون عرضه دون الخمسين ذراعاً ، وتكون الجنادل
معتزلة فى غير موضع منه حتى يكون النصبابه فى بايين أو ثلاثة أبواب
قال وقلعة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهى أشد الجنادل صعوبة لأن
فيها جبلاً معتزلاً من الشرق الى الغرب فى النيل ، والماء يمتصب من ثلاثة
أبواب ، وربما يرجع الى بايين عند المجداره شديد الخريف عجيب المنظر اشخور

الماء من علو الجبل ، وقبله مرسى حجارة فى النقل نحو ثلاثة أبرد الى قرية
تعموق ييسير وهى آخر قرى ميرس وأول بلاد مقره
قال أبو محمد عبد الله بن محمد الأسوانى فى كتاب أخبار النوبة عند
ذكر ناحية يقرن ما نصه :

وما رأيت على النيل ناحية أوسع منها وقدرت أن سعة النيل فيها من
المشرق إلى المغرب مسيرة خمس مراحل^(١) ، الجزاير تقطعها والأنهار منه تجرى
بينها على أراض منخفضة وقرى وعمائر حسنة . انتهى .

قلت وطريق الجمع بين هذا وبين ما تقدم نقله عن صاحب خزانة
التاريخ ان عرضه مختلف بحسب بلاد النوبة أيضاً . ففى بعضها كما قاله
صاحب خزانة التاريخ أعنى ثلاثة أميال فما دونها ، وفى بعضها كما قاله الأسوانى
أعنى خمس مراحل وهذا جمع حسن ولا مانع من ذلك لأن سبيله المشاهدة
والله أعلم

قالوا ومن وراء مخرج النيل الظلمة^(٢)

قال أبو الخطاب وخلف الظلمة ضياء فسبحان العليم التقدير . وفى تاريخ
ملوك مصر أن الوليد^(٣) أحد ملوك مصر من العماقة كان يعبد القمر وهو أول
من تسمى فرعون ، وأقام بمصر مدة ثم عن له أن ينظر مخرج النيل ويعرف
من بتلك الناحية من الأمم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك ثم جمع جميع
ما يحتاج اليه واستخلف على مصر عوناً ، وتوجه فر على أمم السودان ومن فى

(١) أى عبارة عن مائة وخمسين ميلا

(٢) قبل الوصول الى سلسلة القاف الخرافية توجد جهة مظلمة تمنع الناس المرور وربما تصد
المؤلف هذه البلدة الغريبة .

(٣) أن الوليد هو ابن سانس الذى ذكره غرغوريوس أبو الفرج فى تاريخه المختصر عن
الاسر ، وانه من ذرية الملك ابن اليفاز وحفيد الاساير الذى جعل أولاده يقيمون فى أدومية
الجاورة لارض مصر . وقبل عصر الوليد وفى عهد أبينا ابراهيم كان ملوك مصر يلقبون بالفراعنة
(٤)

طريقه على أرض الذهب^(١) وفيها أمة عظيمة ينبت الذهب في تلك الأرض كالقضببان، ثم سار حتى بلغ البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التي تخرج من جبل القمر وراء القصر الذي عمله هرمس^(٢)، وصعد على جبل القمر وراء البحر الزفتي الأسود، ورأى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق وأتاه من ذلك البحر روائح منتنة هلك بسببها كثير من أصحابه، وذكروا أنهم لم يروا هناك شمساً ولا قرراً إلا نوراً أحمر مثل نور الشمس، ثم توجه راجعاً إلى مصر وأقام بها مدة، ثم ركب يوماً إلى الصيد فظفر به أسد فقتله، ودفن في بعض الأهرام وملك بعده الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه الكبير وأما ما يذكره بعضهم من أن منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولاً عظيماً وجواري حسناً وأشياء غريبة، وأن الذي اطلع على هذا لم يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذيانات الأفاكين

قلت هذا الذي قاله الحافظ بن كثير رحمه الله لعله أشار به إلى ما حكاه ابن زولاق في تاريخه عن بعض خلفاء مصر، أنه أمر قوماً بالسير إلى حيث يجري النيل فساروا حتى انتهوا إلى جبل عال، والماء ينزل من أعلاه له دوى وهدير لا يكاد يسمع أحدهم صاحبه. ثم إن أحدهم تسبب في الصعود إلى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك، فلما وصل إلى أعلاه رقص وصفق وضحك

(١) روى الشريف الإدريسي: كان أهالي تاكرور بلدة واقعة في نهاية أفريقيا الغربية يعتقدون أن الذهب نبات. وروى أحد كتاب العرب حادثة غريبة في بابها. وأثبت أن الذهب نبات في غير أفريقيا، وفي سنة ٣٩٤ هـ، كان محمود بن سبكتجن السلطان الأول من الأسرة الجازنغديين يتنزه مرة في بلاد سبستان التي قهرها. فوجد في أحد جبالها شجرة من الذهب الخالص وأن طولها يمتد ثلاثة أميال تحت الجبال، ولكن في عصر حكم ابنه السلطان مسعود حدثت زلزلة فقلعت هذا الجبل وزال المنجم الذهبي. اهـ.

(٢) يعتقد الشرقيون وجود ثلاثة أشخاص معروفين باسم هرمس وعاشوا في عصور مختلفة، وإن هرمس المذكور هنا ظهر بعد أينا آدم بألف سنة ومشهور أيضاً باسم ادريس اهـ.

ثم مضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم أصحابه ما شأنه ، ثم أن رجلاً منهم صعد لينظر ففعل مثل الأول فطلع ثالث ، وقال اربطوا فى وسطى حبلاً فاذا أنا وصلت إلى ماوصلا اليه ، ثم فعلت ذلك فاجذبونى حتى لا أبرح من موضعى ، ففعلوا ذلك . فاما صار فى أعلى الجبل فعل كفعلهم فاجذبوه اليهم فقليل أنه خرس فلم يردّ جواباً ، فمات من ساعته فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك . انتهى

قال وقلعة أصفون أول الجنادل الثلاثة وهى أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق إلى الغرب فى النيل ، والماء ينصب من ثلاثة أبواب وربما يرجع الى بايين عند انحساره شديد الحرير عجيب المنظر لشخوز الماء عليه من علو الجبل ، وقبله فرش حجارة فى النيل نحو ثلاثة أبرد الى قرية تعرف بيسيرو وهى آخر قرى مرسين وأول بلاد مقره

قال وأما هذه الأنهار التى مادة النيل منها والبحث عن ابتدائها والسؤال عن أوائلها ، فقد أكثر السؤال عنها من قوم عن قوم ، فما وجدت مخبراً يقول إنه وقف على نهاية جميع الأنهار ، والذى انتهى اليه علم من عرفنى عن آخرين إلى خراب ، وأنه يأتى فى وقت الزيادة فى هذه الأنهار آلة المراكب وأبواب وغير ذلك فيدل ذلك على عمارة بعد الخراب

وقال الموظاوط الكتبى فى كتاب مباهج الفكر أن طول مسافته ثلاثة آلاف فرسخ ونيف وقيل أنه يجرى فى الخراب أربعة أشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام شهراً قلت هذا القول موافق لما جزم به ابن زولاق فى تاريخه

وذكر صاحب درر التيجان أن من ابتدائه الى انتهائه اثنين وأربعين درجة وثلاثى درجة كل درجة ستون ميلاً ، فيكون طوله ثمانية آلاف وستمائة وأربعة وعشرين ميلاً وثلاثى ميل على الفصل والاستواء ، وله تعويجات شرقاً

وغرباً فيطول ويزيد على ما ذكرناه . وقال صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : « وبين طرفي النيل مما ثبت في الكتب خمسة آلاف وستمائة ميل وثلاثون ميلاً »

وذكر صاحب خزانة التاريخ أن طوله أربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وسبعون ميلاً ، وعرضه في بلاد الحبشة والنوبة ثلاثة أميال فمادونها ، وعرضه ببلد مصر ثلاثاً وميل ليس يشبهه نهر من الأنهار . وفي تاريخ ابن زولاق ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة الى أن يخرج من جبال القمر خلف خط الاستواء ، قلت ما حكاه صاحب الأصل في تاريخ بن زولاق ادعى أبو قبيل الاجماع عليه ولفظه كما حكاه بن عماد في جزئه المذكور ما نصه . وأجمع أهل العلم على انه ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في الاسلام الى آخر ما تقدم ذكره وزاد فقال وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين غير نيل مصر انتهى والله أعلم »

أسماء النيل

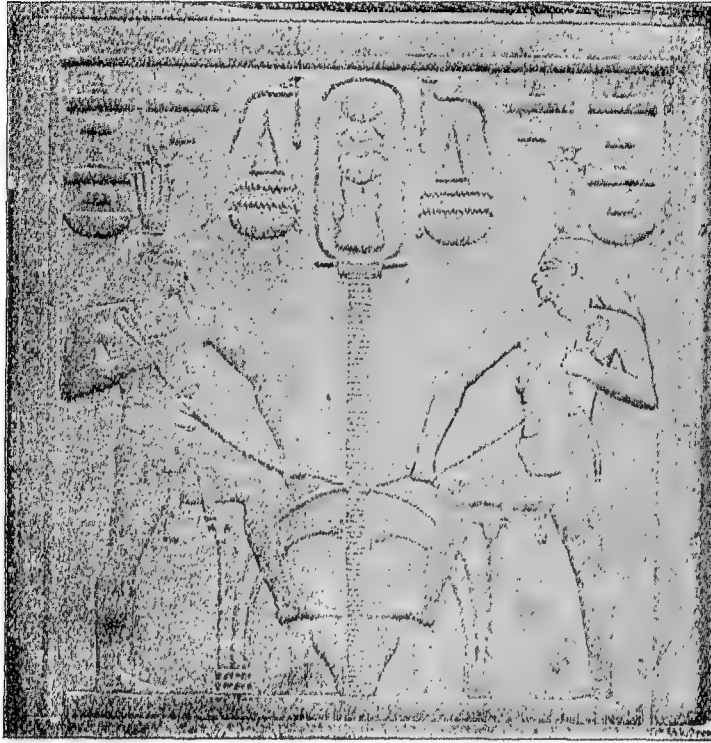
من النصوص المصرية القديمة

كان قدماء المصريين يعتقدون ان النيل الذي تروى منه الأقاليم القباية نيلاً خاصاً ، واطلقوا عليه (حعب رسيت) ويقولون انه لولاه لما استطاع النيل المخصص لرى الوجه البحرى ايفاء الحاجة لأقاليمه ، وحددوا النيل القبلى (كاعنقادهم) بأنه يبتدىء من جزيرة أسوان ، والنيل الخاص بالوجه البحرى دعوه (حعب محيت) ، وقالوا ان ابتداءه من منطقة الدلتا المعروفة قديماً باسم

بايبلون التابعة لاقليم هليوبوليس وقد نقش في معبد ييلاق النص الآتى
« ان نيل الوجه القبلى أبو الآلهة الخارج من مغارته (جزيرة أسوان) ونيل
الوجه البحرى الخارج من خزانته »

ولما قدم لمصر هيردوت لمباحثه عن النيل ، وحادث فى شأنه الكهنة
الصاويين حاولوا اقناعه بمقيدتهم هذه ، ولكن أظهرت المباحث الجغرافية
والحديثه انها لا تطابق الصواب .

وكانوا يرسمون نيل الوجه البحرى على شكل رجل فى ريمان الشباب ،
ضخم الجسم ثقيل الكتفين كبير الثديين ، متشح برداء عليه أثمار النيل فى
بلاد الوجه القبلى ولونها أزرق ، ويرسمون تمثال النيل للوجه القبلى على شكل
رجل متشح برداء فوقه أثمار النيل الممثلة ببلاد الوجه البحرى ولونها أحمر .



وكانوا يطلقون على النيل أسماء كثيرة ، جعلوا منها اسماً مقدساً له وهو
 جمعى ، وتتش على حجر كانوب المحفوظ الآن بالمتحف المصرى فى القاعة
 حرف T تحت رقم ٩٨٠ ومحتة العبارة الآتية « ان النيل جمعى تقص تقصاً
 عظيماً فى عهد الملك بطليموس .



والعامية كانوا يطلقون عليه اسم ايور . وقال بروكش باشا فى قاموسه
 الجغرافى ان كلمة آيور هذه مشتقة من كلمة (اور) المنقوشة على مسلة اسكندر
 ذى القرنين ، وجاءت فى اللغة القبطية باللفظ ذاته (يور — Your) أى النهر .
 وترجمت التوراة فى عهد أحد الملوك البطالسة وذكر فى سفر الخروج اسم النيل
 بلفظ ايور الذى يشبه فى النطق الاسم المصرى القديم . وقد ورد اسم نيل
 الوجه البحرى بلفظ (وعر)

وقال بروكش باشا ان كلمة (وعر) معناها باللغة المصرية القديمة المياه الغزيرة في وقت الفيضان . وقال لباج رينوف انه ورد النيل باسم عرتى ، وان هذا الاسم يشبه كثيراً الفعل (ار) الذى معناها باللغة المصرية القديمة صعد . وبعضهم اعطى للنيل من الجانب الغربى للقاهرة اسم ايوما (أى اليم — البحر) ، وورد هذا الاسم فى قصة شهيرة (تدعى قصة الأخوين) مكتوبة باللغة المصرية القديمة ، وفيها كثيراً ما أطلق على النيل هذا الاسم (اسم البحر) حتى اليوم

واسمه الأصلي مجهول ، وقيل انه مأخوذ من اللغة اليونانية التى نقلها من الشعوب الأجنبية كالفنيقيين وقبائل ليبيا وأسيا الصغرى ولما بطلت عبادة النيل زال اسمه المقدس (جمعى) ، وأطلقوا عليه لفظ البحر أو النهر . وجاء فى قرار ممفيس المنقوش بالديموطيكية (لغة الشعب) ان النيل كان فيضانه منخفضاً فى السنة الثامنة من حكم الملك بطليموس أبيفان ، وذكر فيه النيل بالديموطيكية بلفظ إل (اى النهر)

وجاء فى ورقة بردية تتضمن علوم المعبودين فتاح وتحوت تسمية النيل بهذا اللفظ أيضاً ، وورد فى مسلة منقوشة بالخط الفارسى أن داريس أمر بحفر قناة من النيل وعبر عن اسمه بالفارسية (P—ir—ia) (ب — ار ع ا) فالباء أداة التعريف للمذكر المفرد بالهيروغليفية و (ار) يطابق (ال) بالديموطيكية (II—ir) ومعناه النهر و (ع ا) ومعناه كبير أى النهر الكبير أى النيل ووردت الباء أداة للتعريف للمذكر المفرد فى كلمة يوم أى بحر فصارت بيوم ، والباء تقلب فاء فصارت فيوم أى مدينة الفيوم ومعناها البحر . وكذلك التاء فانها أداة التعريف للمؤنث المفرد فى كلمة (مير) التى معناها فيضان النيل وبالقبطية ميرة فصارت بالعربية العامية (دميرة) أى فيضان النيل

وذكر في قصة سَنَنَّا المكتوبة بالديموطيقية اسم النيل (ن — إل) ومعناه النهر فالنون أداة التعريف للجمع المذكر «وأل» معناه النهر ويلاحظ أن اسم النيل عند قدماء المصريين يدعى (ار) أو (ال)، واشتق منه الديموطيقى بلفظ (ال) وكذلك القبطية، ولكن هؤلاء استعملوا الكلمة الديموطيقية (ن — ال — و) فالنون أداة التعريف للجمع المذكر كما تقدم و (ال) معناه النهر و (و) علامة للجمع. ومن كلمة نيلو اشتقت الكلمة اليونانية (Nilos) أما الصاد في (نيلاوص) فيطابق الحرف السادس عشر من الأبجدية اليونانية

وليلاحظ القارئ النظرية الآتية القديمة العهد الغريبة في كلمة نيلوص (Neilos) التي ربما كانت من اختراع اليونان أنفسهم وإن عدد أيام السنة المصرية (٣٦٥)، ومن الغريب إذا حسبنا كل حرف من كلمة نيلوص بحسب الجمل اليوناني، صار مجموعها الكلي (٣٦٥) وهو مجموع أيام السنة المصرية واليك جدولاً يتضمن هذا الحساب:

حروف Neilos نيلوص حسب الأبجدية اليونانية

عدد الجمل									
N	٥٠
E	٥
T	١٠
L	٣٠
O	٧٠
S	٢٠٠
المجموع									٣٦٥

أن مجموع الأعداد المذكورة ٣٦٥ (٥ + ٦ + ٣ = ١٤)، وهذا العدد هو الحرف الرابع عشر من الأبجدية أي النون والعدد الجمل ٥٠ كما تقدم وهنا للنقد مجال إذ من المبادئ المتبعة أن الكلمة تشتق من مأخذ

واحد فكيف يكون اسم نيلوص مأخوذاً من اللغة السامية العبرية (نهر) ومن اللغة المصرية القديمة (ن — ال — و) أو من اسم مخترع مركب من الأعداد ٣٦٥. ومن السهل معرفة نتيجة شيء واحد وإن كانت أسبابه كثيرة، فمن الممكن أن يكون اليونان قد سمعوا من الساميين لفظة نهر عن النيل، وتعلموا من المصريين أن فروع النيل التي تمر بالدلتا تسمى (ن — ال — و) أى الأنهر، ولكن من الصعب فهم أسباب كلمة نيلوص وهو ٣٦٥ الموافق تماماً لعدد أيام السنة المصرية

وقيل إن لفظ النيل كلمة عربية مشتقة من نال فإن النيل نوال من السماء وإن الهنود نقلوا اسم النيل إلى بلادهم ومنها النيل (الصبغة) كما نقله قبلهم العجم والعرب إلى لغاتهم

وجاء في تأليف الفيلسوف أراتوستين^(١) (Aratosthène) أن أحد الملوك كان يسمى نيلوص ومن اسمه أخذ اسم النيل

وقال بلين المؤرخ الروماني إن النيل يخرج من بحيرة تدعى نيلوص وأعطى هذا الاسم للنيل نفسه

فيتضح مما تقدم أن كلمة نيل لم تجتمع آراء المؤرخين على حقيقة مأخذها بل تشعبت الآراء كما عامت، والذي أراه أن الأقرب هو أن النيل أخذ من لفظة نيلوص اليونانية المأخوذة من الكلمة الديموطيقية (ن — ال — و) أى الأنهر كما تقدم

(١) فيلسوف شهير من مدرسة الاسكندرية القديمة . ولد في سبرين (Cyrène)

سنة ٢٧٦ ق . م .

سيحور

لم يكن سيحور اسماً للنيل كله عند قدماء المصريين كأثور وغيره ، بل كان اسماً لجزء منه وهو الجزء الواقع في الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى الذى كانت قاعدته مدينة ذور كما يستفاد ذلك مما وجد منقوشاً على جدران معبد ادفو باللغة المصرية القديمة ؛ فقد نصت هذه النقوش على أن هذا الاسم (شيحور) كان عاماً على جزء من أجزاء النيل في الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى ، ثم توسعوا فى استعماله ، فأطلقوه على النيل كله من باب اطلاق الجزء على الكل كما يسميه علماء البلاغة (بالمجاز المرسل) ولهذا الاطلاق نظائر فى جميع اللغات

ويؤيد هذا ان شيحور (بالشين المعجمة) كلمة مصرية قديمة مركبة من كلمتين الأولى (شى) ومعناها بحيرة والثانية (حور) ومعناها المعبود وكان يطلق عليه حور أو هور أو حورس أو هورس وهو إله هذا الاقليم الرابع عشر بالوجه البحرى المذكور وكان رمزاً للشمس التى هى أكبر الآلهة عندهم فعنى شيحور اذن بحيرة حور أى بحيرة الإله المسعى بهذا الاسم

ومما ورد فى رواية مصرية قديمة « أن النيل يبتدىء من جزيرة اسوان ويمتد الى شيحور فيؤخذ من ذلك أن شيحور هو الجزء الأخير من النيل ، ويمكننا أن نقول أيضاً أن شيحور آخر الحدود المصرية القديمة

ثم لما أتى الاسرائيليون أرض مصر فى عهد الأسرة التاسعة عشر ، واختلطوا بالمصريين سرت اليهم كلمات كثيرة من اللغة المصرية القديمة وامتزجت بانتمهم العبرية ، ولذلك وردت بمعنى أسود واطلقوها على النيل

للدلالة على مياهه المكدره (بفتح الدال المشددة) وطميه « الطينة السوداء »
الذى يتركه وقت فيضانه

وجاءت أيضاً كلمة شيجور في التوراة في سفرى ارميا واشعيا ويفهم من
كلامهما أن المراد بها النيل أو جزء منه

وقد نطق بها « الزبور » فانه جاء فيه أنه لما أراد سيدنا داود نقل تابوت
العهد الى مدينة اورشليم جمع الاسرائيليين المقيمين في البلاد من شيجور الواقعة
في الجنوب حتى (أماث) الواقعة في الشمال . ويفهم من عبارة الزبور أن شيجور
كانت الحد الفاصل بين الأراضى المصرية وأملاك بنى اسرائيل

وفي سنة ٢٨٣ ق . م . ترجمت التوراة من العبرية الى اليونانية بأمر
بطليموس فيلادلف وسميت الترجمة السبعينية لأن الذين ترجموه كانوا سبعين
حبراً من أحبار بنى اسرائيل ، ثم ترجمت بعدئذ الى اللاتينية ودعيت « فلجات »
أى العامة (Vulgate) فترجمت لفظة شيجور بلفظ النيل . إذن فهم الأقدمون
أن كلمة شيجور هى نفس كلمة النيل



ولا بأس من أن نثبت هنا خلاصة بحث جديد هو آخر ما اطلعنا عليه
في نوعه للعلامة الجليل المرحوم احمد باشا كمال أمين المتحف المصرى سابقاً
في رسالة أفرد بها بالبحث عن أسماء النيل واشتقاق التسمية فقال :

الى الآن لم يهتد أحد من الأثريين الى اسم النيل بالتحقيق ، بل وجدوه
في العربية واليونانية فقال إنه مأخوذ من اللغة الفنيقية أو الآشورية الى نحو
ذلك ، ووقف بحمهم الى هذا الحد فخرجه (جروف) بطريقة لا تنطبق على
الحقيقة لما فيها من التكلف . ولكن هناك لفظ مصرى دال على النيل لأنه
ذكر في الجدول الشامل لأسماء هذا النهر المبارك المنقوش على الآثار ، ونقله

بروكش في قاموسه الجغرافى (فراجعته فى الصحيفة ١٤٠٨) وهذا اللفظ هو (ننوينو) ورد أيضاً فى قاموس اللغة للأثرى المذكور (جزء ٣ الصحيفة ٧٧٩ وجزء ٤ الصحيفة ٦٧٨) وذكر كثيراً فى النصوص المصرية ، ونونه الأخيرة تقلب فى العربية لأمّا إذا اريد مقارنته بالنيل كما سترى فى الأسئلة الآتية من انقلاب النون المصرية الى اللام فى العربية

ن : حرف نفي فى المصرية ويقابلها فى العربية والعبرية لا
نن : معناه الليل بقلب النونين لامين (وخلفه اشارة السماء مزينة بالنجوم)
نن . ننو : الاء اللاتى اسم اشارة فى اللغتين
نز : لوز شجر معروف
نت : التى ، الذى (لأن التاء تقلب ذالاً) اسم موصول فى اللغتين
نبن . نبنن : لبنى وهى شجرة الميعة أى المصطكى
نخب : لقب والقاب الخ

اذا عامنا ذلك جاز لنا أن نقول إن (ننو) أو (نينو) هو النيل لأن هذا التخريج لا يخرج الكلمة عن المعنى الذى وردت بها فى اللغة المصرية ، اذ قد ذكر فى ورقة هريس (Harris 1, 18, 0) نص معناه : قربان الأعياد الكبيرة لمبدء (ننو) أى القرايين التى كانت تقدم للنيل فى مبدء الفيضان ، فى نقوش دندرة عبارة معناها (Demt Hist. Ins. 29) دهم مثل (ننو) أى مثل النيل وجاء أيضاً فى صحيفة ٢٥٦ من قاموس بروكش الجغرافى هذا النص : جبلا (ننو) أى الجبلين المحيطين بالنيل عند الشلال الأول - (وننو) تطلق أيضاً فى اللغة على جدول القسم العاشر فى الوجه البحرى (راجع كتاب الجغرافية بروكش بصحيفة ١٥ و ٢٥٢ والجزء الثالث منه الصحيفة ٢٩)

أما اسم النيل المقدس فهو (حعب) و (حعبى) والباء فى المصرية تأتى لتضعيف الحرف الآخر

واعلم أن (الحاء) و (النون) و (الراء) تسقط فى بعض الكلمات المصرية وهذا أمر معلوم عند الاثريين فمثلاً كلمة (أمن حتب) اسم من أسماء ملوك مصر ذكر فى اليونانية باسم (امنوفيس) فان فاء الكلمة تحذف منه فى أول الى العربية فهو يقابل طاب يطيب طيبة والصفة منه طيب وطيبة الخ فكلمة (حعب) تقابل إذن فى العربية «عب» البحر عباباً : ارتفع وكثر موجه) وعبت : مياه متفرقة (وعباب) معظم السيل وارتفاعه وكثرته وقيل موجه

واليعبوب (قال أهل اللغة إن الياء فيه زائدة) النهر الشديد الجريان والجدول الكثير الماء (خعب) أى (اليعبوب) اسم متداول كثيراً فى اللغة وذكر فى مدحة النيل التى كتبها ماسبرو وترجمها فى كتاب قصص العوام المصرية واليك مطلع هذه المدحة عن ترجمتى لا ترجمة ماسبرو

تعظمت أيها اليعبوب تنزهت أيها اليعبوب (حرف الذاء محذوف كما يأتى ذلك فى العربية) البارز فى هذه الأرض السائر لعيشة مصر مسيرك كمين ليلاً ونهاراً مسيرك ممدوح لأنه يروى الحقول التى أوجدتها الشمس ليميش جميع الحيوانات ويروى الصحراء البعيدة عن الماء . نداه هو السماء (أى مياهه من المطر لأن هوى السماء هو ما يهوى منها فى الماء أى المطر) فالأرض تروم وتتقرب بالحلب (أى تجود بالمحصول) الخ

أما أسماء النيل الواردة فى الجدول المنقوش على الآثار فهى اثنان وخمسون اسماً استعملت اما بوجه الحقيقة أو بوجه المجاز لعلاقات معلومة عند أهل اللغة قديماً

فيضان النيل وأسبابه

عند قدماء المصريين

كان فيضان النيل الدورى أمراً هاماً لسعادة مصر، وأيقظ أنظار أولى الأمر اليه فجذوا فى وسائل تحسينه، وإن هذا الفيضان الطبيعى الذى يفسره العلم الحديث بكل سهولة، كان فى عقيدة قدماء المصريين دليلاً ساطعاً على أنه لا يتم إلا بمعونة وقدرة إلهية.



المعبد - إيسن والأصل فى المتحف المصرى

قال پوزانياس المؤرخ اليوناني الجغرافي المولود في القرن الثاني ق . م ، إن المصريين اعتبروا النيل في بدء فيضانه مجموعة من دموع المعبودة إيزيس التي تبكى زوجها أزوريس . وقال لاج رينوف يحتمل أن يكون هذا تقليداً قديماً ، لأن إيزيس وأختها نفتيس تسميان في كتاب الموتى بالنادبتين . وجاء في نصوص أخرى كثيرة أن مجرى النيل منسوب لإيزيس أو لمعبود آخر مثل سوتيس الشبيهة بإيزيس ومن الغريب ان جميع سكان مصر لا يزالون على اعتقادهم القديم ، بأن يوم ١١ من شهر بؤونة الموافق ١٧ يونيو تنزل فيه نقطة ، فتسبب فيضان النيل ولا زالت تعرف إلى الآن بليلة النقطة .

والجدير بالذكر هو معرفة أسباب الفيضان الواقع بأمر إلهي كما يعتقدون



المعبودة نفتيس
والاصل بالمتحف المصري

ينتظر المصريون أشهر الفيضان بلهف وشغف ، فان تأخر قليلاً بسبب غير متوقع ، فزعت القلوب وخافوا من الدمار ، وتكسد الأعمال ، وتنتشر الأوبئة ، وتفتك بالناس فتكاً ذريعاً ، ويمقب ذلك اضطراب في الأحوال ، وتنضب ينابيع الثروة ، وتتوالى العداوات والمشاحنات بين الناس ، وقد يستبيحون الاعتداء على بعضهم . وحينما يأتي الفيضان ، تسكن تلك المخاوف وترتفع الشرور ، ويستقبل الناس أسباب سعادتهم ، ووسائل رزقهم بالنشاط والبشاشة ، فيقبلون على المستلزمات الزراعية ، ويعم الفرح القلوب الى درجة تقل معها نسبة الوفيات في

البلاد عن اعتيادها في الأيام الأخرى ، وتقام للفيضان مظاهر الاحتفاء كأكبر الأعياد . ويظهر أن الفيضان يقترن بزمان ظهور نجمة الشعرى المعروفة بالشعرى اليمانية في السماء . وقد جاء في نقوش معبد دندرة أن سوتيس الاله يجلب الفيضان ، وإنه يشبه إزيس أم حورس التي تفيض من دموعها ماء النيل . وكان بمدينة أسوان معبد خاص لعبادة إزيس سوتيس احتراماً لذلك ووجد في بعض نصوص مصرية قديمة أن النيل يبتدىء فيضانه في أول السنة المصرية ، ويعرف بدؤه بظهور النجمة سوتيس في فصل الصيف في السنة المصرية القديمة .

وورد في ورقة هريس السحرية البردية أن ظهور النجمة المذكورة يوافق ابتداء الفيضان ، واتفق جميع المؤرخين على ذلك . وقال هيردوت وديودور الصقلي وبلين أن النيل يبتدىء في زمن انقلاب الشمس في الصيف واستدام جهل قدماء المصريين بأسباب الفيضان مع اعتقادهم بأنه من دموع إزيس ، وظنوه ناشئاً عن الرياح الشمالية . ولكن ديودور الصقلي خالفهم في ذلك ، وأبدى أن أمطاراً كثيرة تنزل في كل السنين ابتداء من الصيف حتى يتعادل الليل والنهار في فصل الخريف . ومن المعقول جداً أن ينخفض النيل في الشتاء ويزداد في الصيف من تهطل الأمطار التي تهبط عليه ، فهي التي تأتي دائماً إلى مصر من أثيوبيا ، فتملأ في الصيف بحرى النهر وهذه النظرية صحيحة ، وهي أصدق المعلومات عن السبب الوحيد في فيضان النيل الذي هو مصدر الحياة لمصر وقاطنيها .

تتراوح مدة الفيضان بين تسعين يوماً أو مائة (على رأى قدماء المصريين والأقباط) . ويبتدىء الفيض رويداً إلى يوم ٢٠ سبتمبر ، وهو أقصى مدته ، وتتغير مياه النيل أثناء زيادته ، فتكون خضراء في الأوائل حينما تقذف الزيادة

من مجاريها المياه الراكدة في مستنقعات بحر الغزال ونحوه ، ثم تصير حمراء قائمة مغبرة حينما تنزل من سطوح جبال الحبشة الرمضاء ، ومنها تتحدّر الى النيل الأخضر والنيل الأحمر اللذين أشبهها ساكنى تلك الجهات المجاورة . وهذه التغيرات لم تمنع ماء النيل من صلاحيته للشرب . وقد جاء في أمثال العرب (على سبيل المبالغة) ان من شرب من ماء النيل مرة يشق أن يشرب منه أبداً . وبالعوا من قديم في شهرته وخواصه ، حتى زعموا أنه يبعث الأموات في الدار الآخرة . وذكر في كتاب الموقى أن من أكبر مشتهيات الميت الشرب من المياه الباردة الآتية من نهر الجنة الذي كان يشبه النيل

واعتماد قدماء المصريين كما اعتاد ابناء هذا العصر اعتبار النيل المورد الأول لحياتهم وأرزاقهم ، فيحتفلون بالفيضان ومستوى الزيادة احتفالات سنوية . فإذا تأخر فيضانه امتلأت المعابد بمن يؤدون الصلوات والتضرع ، ويقدمون الضحايا ابتهاجاً للآلهة في أن يجود النيل عليهم بفيضه المعتاد . فإذا أبطأ ولم يستجب دعائهم ، توجهوا الى فرعون ليضرع معهم في طلب الزيادة ، فيسمع النيل أمر أبيه فيأتي فتعم الأفراس ويأخذ القوم في الاطمئنان على معاشهم ورخائهم .

النصوص المصرية القديمة الخاصة بالفيضان قليلة وما ورد منها لم يؤيد قصة سيدنا يوسف عليه السلام

وقد ورد في شاهد حجري ترجمه بروكش باشا انه وقعت بمصر نجاة دامت سبع سنين ، ولم يمكن الجزم بأنها هي السبع سنوات الواردة في نص التوراة أو غيرها واليك ترجمتها :

يقول الملك لرجال بلاطه : « أنا الملك حزين على عرشي ، وقلبي منغم بالكآبة لتأخر النيل عن فيضه المعتاد سبع سنوات ، فأصبحت ثمرات

الأرض نادرة ، وجفت الحضرة ، واستحال كل شيء على وجه الأرض . انى أفكر كثيراً فيما مضى ، وأتضرع معكم الى إِيْحْتِبْ بن فتاح الذاهب الى منبع النيل لئمنحنا جميعاً الشفاعة والإغاثة بفيضه سريعاً »

وورد فى حجر كانوب المحفوظ بالمتحف المصرى تحت رقم ٩٨٠ بقاعة حرف T بالطبقة السفلى أنه فى عهد الملك بطليموس افرجت الأول سنة ٢٣٨ ق . م اشتد انخفاض النيل وحدثت بذلك الأهوال والمجاعة

وقال الفيلسوف سنيك : إن النيل لم يفيض سنتين ، أولاهما فى السنة العاشرة فى حكم الملكة كليوباترة . ويؤكد لنا كليماك أن النيل سبق أن تخلف فيضانه عن عادته تسع سنين لما قتل بطليموس پومباوس الرومانى (Pompée) الشهير ، حتى قال رجاله إن النيل لم يفيض غضباً لارتكاب هذه الجناية فى أرضه

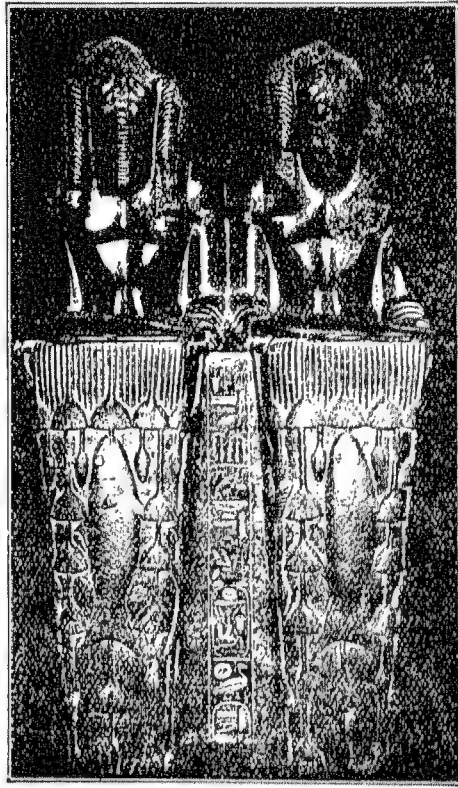
وقد يتجاوز النيل فى زيادته الحد المعتاد ، وأحياناً تبلغ الزيادة الى درجة الخطر فتكون البلاد تحت نطاق الحصار ، وتهدم مبانيها وتفسد مدخراتها الزراعية ، وتتعطل المواصلات ، ويلجأ المستطيعون الى النجاة بأرواحهم آبقين الى الأراضى العالية أو حواجز الجبال ان كانوا قريبين منها

وفى أنشودة النيل عن تأخره بعض السنين ، ما يثبت أن تأخير فيضانه كما يضر بالآدمى والحاصلات الزراعية المدخرة ، يؤذى البهائم أيضاً ، لأنها لا تجد ما تعودت الاقتيات به من الحشائش ونحوها التى كانت تجوب الأودية فى طلبها قبل أن يغمرها الفيضان ويقطع عليها السبيل

ووجد باللغة المصرية القديمة فى جدران فناء معبد أَمِئَحْتِبْ الثالث بالأقصر أنه حصل فيضان زائد فى عهد الأسرة ٢٢ ، فامتنع الناس عن حفلات المعبد ، وخربت الأرض وما فيها ، ولم توقفنا الآثار على شيء من هذا القبيل

فى العصر الفرعونى ، ولم يذكر لنا شيئاً مؤرخو اليونان والرومان ، بل أجمعوا على مدح جمال مصر فى أزمنة فيضانها المعتادة ، وإن به يتغير منظر البلاد ويتلطف ميزان الحرارة فى الجو

وقال سنيك الفيلسوف : « ما أبدع منظر مصر وقت فيضان نيلها على الأودية والحقول » وقال هيردوت : « إن مصر تصير بحراً فى ذاك الوقت وأن النيل اذا بلغ ارتفاعه ١٥ أو ١٦ ذراعاً اعتبر الفيضان مباركاً وأيدت هذه الأقوال المعلومات المستفادة من الأوراق البردية ، والنقوش الموجودة على الحجارة الأثرية



نيل مدينة تانيس

تمثالان يتناولن نيل الوجه القبلى ونيل الوجه البحرى وهما يمهلان أثمار النيل من الاسماك والطيور المائية وزهرة الوطس ويقدمانها هدية لملك مصر .
والاصل بالمتحف المصرى بالطبعة السنلى بالطرفة ل رقم ٥٠٨

ومتى انتهى الفيضان ، أو كما يعبر قدماء المصريين في لغتهم لما تخرج
الأرض من الماء ، يباشرون الفلاح الزراعة ، فتغطى الحضرة وجه الأرض ،
وتصبح على سمعتها بساطاً سندسياً يهر النواظر ويروق الأبواب

وإذا بلغت زيادة النيل أكثر من ذلك ، تعطلت مواعيد الزراعة ، وإلى
هذا أشار مارييت باشا في قوله : إن مصر كما تهتز بالجزع إذا تأخر الفيضان
فكذلك يعمها الضرر إذا كان فيضانه زائداً عن الحالة المألوفة . ولهذا فحياتها
تتوقف على اعتداله في مجيئه بأونة الحاجة إليه وعدم زيادة فيضه عن قدر
هذه الحاجة .



التنبؤات المصرية القديمة الخاصة بالنيل

ورقة انسطاسى البردية أو سفر ابوور المتنبى المصرى القديم منذ ٤٠٠٠ سنة

بلغت العناية بأمر النيل فى مصر اجترأ كثير من المتصدرين للبحث والعلوم على تنبؤات كثيرة فيما يختص بزيادته وتقصانه وما يعترى الأمة فى أدوار القحط من الانزعاج والألم والانكماش ، وكان من تصدر عنهم هذه التنبؤات يجهرن بها بين يدي الفراعنة فى وقتهم ، ويتلقاها الناس بتشوق شديد ، وحرص مستمر لمقارنة الحوادث وتطبيقها عند وقوع شئ منها بما يكون منافياً أو مؤيداً لهذه الأقاويل . ومن ذلك ورقة انسطاسى البردية التى توجد فى متحف لندن تحت رقم ٣٤٤ ، اشتهرت بورقة انسطاسى لأنه هو الذى اكتشفها فى مدينة ممفيس بالقرب من سقارة ، وابتاعها منه متحف لندن سنة ١٨٢٨ مكتوبة بالهيراطيقية من وجهيها ويرجع عهدا الى عهد الأسرة ١٢ أو ١٩

ومما اشتملت عليه قول ذلك المتنبى أنه سيأتى على مصر دور ثقل فيه مياه النيل ، ويتبع ذلك كساد الأحوال ، وتنتشر الأوبئة وحوادث الثورات واراقة الدماء ، ويتغلب الصعاليك على الأعظم ، وتتعهد الحروب الداخلية ، ويتوالى الانقلاب ، وتسود بعض العناصر المنحطة ، وتنفرد بالسيطرة ،

ونهب الأموال من ساداتها ، وتكثر نساءهم من التجميل بنفائس العقود والقلائد ، وتحل التعاسة ببعض الطبقات الراقية حتى يعوذها طلب القوت ، وتكثر الدخلاء حتى في العلماء ، وتُنْتَهَكُ أَمَا كُن العبادَة ، وتعطل الشعائر . فالويل كل الويل لمن يجعل في عصره أقل مكان لوقوع أقل شيء من هذه الشرور ثم تنتهي تلك الدورة المؤلمة ، ويسود السلام ، ويعود النيل الى فيضيه المعتاد ، وتسترد الأرض بهجتها ، وتعود الى النفوس مكانتها على يد من يسخرهم الله لسعادة الانسان »

ومن هذه الأساطير وأمثالها يعلم أن عظماء الفراعنة وأئمة الباحثين كانوا يعلقون كل شيء في مستقبل البلاد على فيض النيل وانخفاضه ، ويرتبون نتائج الخير على بركات الفيضان ، ويتشاءمون بكل حوادث الشر في السنوات التي يكون فيض النيل فيها بطيئاً أو منخفضاً ، ولا ننكر أن حياة مصر قديماً وحديثاً تتفاوت في الرخاء والنعم بقدر ما يغمرها به نيلها المبارك أدامه الله لها مستفيضاً بالخيرات والسعادة ، ووفق رجالها العاملين الى الصالح العام في كل أدوارهم الكريمة

أعمال ملوك الأسرة (١٢) في النيل

اشترك الفراعنة مع الشعب في عقائده نحو النيل ، وفي الاهتمام بكل شؤونه كواجب فطري تألفوه بالتوارث ، ثم رأى الممتازون منهم بقوة الفطنة وحب الاستطلاع والتشوق في زيادة المزايا العمرانية التوسع في المباحث ، فابتدأوا بانتداب المتضلعين في العلوم الفنية ، فأرسل بعضهم مهندسين للشلالات لحصر الارتفاعات التي وصل اليها النيل في مدد الفيضان ، ليقيموا

بنسبتها الجسور ، ويشيدوا الخزانات . وبإتمام هذه الاصلاحات النظامية سميت مصر قديماً الأرض المرواة أو المتصلة بالقنوات ، أو الأرض السوداء ولا غرو في ذلك لأن مصر أرض زراعية ، والزراعة هي الوسيلة للثروة ، وحياة الزراعة تستلزم العناية بالمياه في الايراد والصرف كيلا يضيع جزء منها في أراض مهملة ، ولا تحرم الأراضى الزراعية الخصبه من كفاية المياه لريها وانماء مزارعها . وعرف قدماء المصريين ان مياه النيل المتدفقة بالفيضان ، تنقل كل عام كميات من الطمي النقي الذى يمنح الأرض زيادة في الخصوبة وجودة في الزراعة ، فاجتهدوا في توصيل هذه المياه بمحتوياتها الى الجهات القاصية ، لتأخذ حظها مما تجود عليها به طبيعة الفيض . فالعناية بموازنة المياه في الاستجلاب والصرف ليست من الوسائل الحديثة أو من مبتكرات الأجيال الأخيرة كما يدعى الزاعمون ، بل إنها من مجهودات الأفكار المتوالية في عهد الفراعنة ، فامتازت الأرض بكثرة الانبات وتعدد المحاصيل ووفرة الثمرات منها باسباب ترجع إلى توفر المياه ، والى فاعلية الشمس وحرارتها ، واعتدال العنصر الأرضى ، حتى أن الحبة الواحدة قد تبلغ في الانبات الى مائة حبة ، فكانت مصر أمام بقية الممالك أشبه بخزائن حاصلات لكثير من الممالك ، وكانت تعد كمستودع الأرزاق للعالم الرومانى مثل بلاد توميدى

وقد جاء في التوراة أن ابانا اسحق أرسل ابنه لمدينة ممفيس لاستجلاب القمح . وكان الفيضان الدورى يخفف عن الفلاح معالجة أرضه فتجود عليه بالحبوب والحاصلات الوفرة ، وهو لا يتكبد الا تخطيطاً بسيطاً في مواسم التقاوى وانتقاء أنواعها ليجنى من حسن نقاوتها وتوفر مياه الري لديه خيرات وافرة .

ووضعوا في تلك العصور الماضية الاراضى والقوانين المشجعة على التحسين الزراعى ، ومكافأة المجتهدين مكافأة مالية ليقتدى بهم الغير . وكانت الاراضى تقسم بين المزارعين بنسبة أفراد العائلات وخبرتهم الزراعية اذا كانت مساحة الأرض على سعة تمكن من كل ذلك ، ومد الجداول وإنشاء المجارى ونحوها رغبة في تعميم الفائدة وتسهيلاً على الزراع فيما تشتد حاجتهم اليه

وكان كل عصر من الفراعنة يفتخر بما أحدثه من أنواع التحسينات ، ولا يصرفه الاهتمام بما أحدثه عن دوام العناية بما استجد منها في عهد أسلافه رغبة في تخليد المنفعة لنوحيها ، وابقاء الذكر الحسن لمن أدّى للبلاد عملاً مشكوراً ، لأن الجسور ونحوها ان لم يتعهدوا ولالة الأمور بالعناية والاصلاح والفنوات والمجارى ، وان لم يتخذ نحوها الترميم والتطهير كل سنة في الوقت المناسب له يترتب على تركها انحطاط درجة الأرض من الخصوبة الى الجذب ، وتتحوّل حالة الملاك من السعادة الى الشقاء

وقد عثرنا على نص رقيم حكومى صدر فى عهد الملك سنوسرت الثالث يأمر بتريم قناة وهذا نصه : (دلالة على ما سبقت أشارتنا اليه) : « فى السنة الثانية من حكم ملك الوجهين البحرى والقبلى الملك سنوسرت ، الحى الارادة الدائم الذكر ، أمر بإنشاء قناة جديدة طولها مائة وخمسون ذراعاً وعرضها عشرون ذراعاً وعمقها خمسة عشر ذراعاً »

ووجد منقوشاً على شاهد أقيم للملك تحوتس الأول : « انه فى السنة الثالثة من حكمه ، وفى اليوم ٢٢ من الشهر الأول من فصل الحصاد ، أمر الملك المعظم بحفر هذه القناة ، شكراً لمعونة الرب الأعلا ، وإسدائه بالنعمة على شعبه بمناسبة فوزه بالنصر والفوز على بلاد كوش . »

وفي عهد تحوتمس الثالث أنشئت قناة أخرى بعد ما أن ملأها
الحجارة . وفي هذا المرسوم نص بالزام من يزاولون مهنة الصيد في جزيرة
أسوان بتطهيرها سنوياً ، لأنهم هم الذين بترددهم عليها لأعمال الصيد بالزوارق
وغيرها يتسببون في انهيار ميول الجسور تساقط الحجارة حولها حسب
مستلزمات مهنتهم ، فمن العدل انهم كما يغنمون الأرباح بالصيد منها يتكبدون
بعض الاجراءات الواجبة لتطهيرها وصيانتها حتى لا تنطمس مجاريها ولا
يتعطل الانتفاع بها

وقد وضعت في عهدهم القوانين الشديدة بالعقوبات الرادعة ، والجزاءات
الزاجرة لمنع الناس عن إحداث أى ضرر بمجارى المياه وطرق المواصلات ،
وعدم مس الأعمال الزراعية والمحاصيل أيضاً بأى ضرر أو تلف ، لأنها في
واقع الأمر أعدت لمنفعة المجتمع العمرانى . وليس قيام الأفراد بالخدمة والزراعة
فيما يكون تحت ملكيتهم إلا من أنواع التعاون الضمنى ، لأن كل فرد يؤدي
خدمة شخصية ترتبط بالمنافع العامة . يعتبر خادماً للمجتمع وإن لم يقصد هو
في عمله هذه الملاحظة

وقد وجد في نصوص الكتاب المقدس في كتاب الموقى ما يؤيد هذا
الاهتمام الحكومى الذى تتناقله الأجيال : « انى لم أقطع قناة في ممرها ، ولم
أخالف نظام الري ، ولم أتلف الأراضى الزراعية »

وقد وجدت نقوش في قبور الأمراء بأسسوط تدل على الأعمال التى تمت
لإصلاحات النيل في عهد الأسرة المهرقلوبولتية . وفي هذه النقوش إشارة الى
أن الملك خيتى الأول يفتخر باستيلائه على المياه وحسن التصرف فيها كيفما شاء
ولم تكن في الوجه القبلى إلا أراض منحطة ، فاهتم بحفر قناة كبيرة في الأراضى
الشرقية ، وأقام لها أبواباً ، وغير مجرى المياه القبلىة ، فوصلت إلى حد لم تبلغه

المياه قبلها ، وممكن حدود القناة ، فارتوت منها بلاد كثيرة ، وجعلت الهضاب المرتفعة بحيرات ، وصار النيل يغمر الجزائر ، وأصبحت الأراضي الجذباء ذات خصب ورغد ، وكل الأراضي التي كانت في الماضي محرومة من الري النيل ، فأهلها ينسبون الفضل في سعادة حالهم وصفاء عيشهم الى الملك سيتي الأول الذي حفر قناة تم بها الاتصال من فرع النيل الثاني الى بوباستيس بالبحيرات المرة ووادي طيبة . وأهم القنوات التي تمر بقرب قبطوس ذكرت في قصة ساتني سخايس

وكان البحر اليوسفي في الحقيقة فرعاً للنيل في الجهة الغربية يبتدىء من أسيوط وينتهي الى الدلتا

وقد أتمَّ الملك نخاو الثاني ابن الملك بسامتيك مشروعات كثيرة في الري ، ووضع مشروعاً جليلاً لإنشاء قناة تصل البحرين ، ولكن هذا المشروع لم يتم في أيامه والذي وفق لإنجازه هو الملك داريس الفارسي ، وقد نقش اسمه في شاهد شالوف بالفارسية ونصه كالآتي « أمرت بحفر هذه القناة تبتدىء بالنيل من مصر الى البحر الأحمر

وذكر هيردوت ان الفمين البولبستيكي والبيكوليكي لم يكونا طبيعيين ، ولا بد أن تكون يد الانسان العاملة في العمران قد خطتهما ، فان الفراعنة أنشأوا قنوات كثيرة للبلاد ليسهل على أهلها الانتفاع بالمياه الوفرة لرى الأراضي وكافة الاحتياجات البشرية . واقتنى اليونان والرومان آثار الفراعنة في إصلاحات الري ، وكانوا يعمنون بتطهير الترع من رواسب الرمال والحجارة . وأول من افترض على الأهالي القيام بهذه التطهيرات هو أكتاف

أغسطلت (Octave Auguste) ، وكان يراعى تقسيم الأعمال بينهم بمراعاة قرب أهالى كل جهة من القسم الذى يكلفون بتطهيره .

وفى الأوراق البردية ومن بينها ورقنا باريز وبرلين ان الملك بطليموس فيلادلف وافرجت الثانى ايفان وتراجان وجستينيان كانوا يعتنون سنوياً بتطهير الترع وتقوية الجسور ، ويكلفون مراقبين فنيين بدوام المرور عليها ، وإيضاح ما يحتاج علاجاً ، فيبادر لاتخاذہ ولو قبل المواعيد المعتادة فى الميزانيات السنوية وجداولها

وروى أنه فى السنة الثانية (سنة ١٩٨ ق . م) من حكم الملك افرجت الثانى بلغت شدة الفيضان درجة قصوى ، أغرقت كثيراً من الأودية والصحارى ، فقام الملك بنفسه للإشراف على الأعمال المتخذة لتخفيف المضار والعناية بتقوية جسور النيل وسياج الترع وتجديد المصارف بين المسافات ، حتى أوقف طغيان المياه ، واطمأن باله بنجاة البلاد من الخطر



زيادة النيل ونقصانه وأطواره

في عهد العرب^(١)

نقلًا عن كتاب «تقويم النيل» لحضرة العلامة الجليل أمين باشا سامي

	التاريخ	
	٢	١
وصل النيل في نهاية الفيضان الى ١٢ ذراعا و ١٦ أصبعا	١٥٢	٧٦٩
غار نيل مصر ولم يبق منه شيء فغلت الأسعار بسبب ذلك	٢٧٨	٨٩١
غلق النيل ١٦ ذراعا	٢٤٩	٨٦٣
وصل النيل الى ١٤ ذراعا و ١٦ أصبعا	٣٣٣	٩٤٤
قصر النيل فوق البلاء والغلاء	٣٤٢	٩٥٣
وصل النيل الى ١٥ ذراعا وهبط	٣٥١	٩٦٢
« » « ١٥ » و ٤ أصابع وهبط سريعا فوق الغلاء تسع سنين متوالية	٣٥٢	٩٦٣
وصل النيل الى ١٥ ذراعا وأصبعين	٣٥٣	٩٦٤
وصل النيل الى ١٦ ذراعا ولم يغلقها وهبط سريعا	٣٥٤	٩٦٥
« » « ١٤ ذراعا وأصابع وهبط سريعا	٣٥٥	٩٦٦
« » « ١٢ ذراعا وأصبعا فاستمر الغلاء الى سنة ٣٦٠ فلما دخلت سنة ٣٦١ حصل الوفاء وأخصبت الأرض وتحسنت الأسعار	٣٥٦	٩٦٧
أوفى النيل الوفاء التام وأخصبت الأراضى بالزرع	٣٦١	٩٧٢
قصر النيل عن الوفاء فوق الغلاء	٣٨٧	٩٩٧
وصلت الزيادة الى ١٦ ذراعا وأصابع فروى بعض الأراضى	٣٩٥	١٠٠٥
وصلت الزيادة الى ١٣ ذراعا فاستسقى الناس مرتين	٣٩٧	١٠٠٦
وصلت الزيادة الى ١٤ ذراعا وهبط سريعا فوق الغلاء	٣٩٨	١٠٠٧
فتح الخليج في ١٥ توت والماء على ١٦ ذراعا ثم نقص فوق الغلاء بمصر	٣٩٩	١٠٠٨
نقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر	٤٢٢	١٠٣١
قصر النيل عن الزيادة ووقع الغلاء بمصر	٤٤٤	١٠٥٢
« » « » « » « »	٤٥٧	١٠٥٥
انقطع ماء النيل فعمّ الوباء والقحط	٤٤٨	١٠٥٦

(١) وأما السنوات الغير مذكورة هنا فهي سنو خصب فلذا ضربنا صفحا عنها

التاريخ		
٢	١	
١٠٥٩	٤٥١	وقع الغلاء العظيم بمصر واستمر سبع سنين يزيد في الأول الى ١٢ ذراعا ثم ينقص وكانت القاعدة ٣ أذرع و ١١ أصبعا
١٠٦٨	٤٦٠	نقص النيل في هذه السنة والتي بعدها فكان الغلاء العظيم الذي لم يسمع بمثله من عهد يوسف واشتد القحط والوباء سبع سنين وكان مقدار النيل ١٦ ذراعا وأصبعا
١٠٧٣	٤٦٦	فتح الخليج يوم ١٧ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا ونقص في ١٣ بابه
١٠٧٨	٤٧١	فتح الخليج يوم ٢٧ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٨ أصبعا
١٠٧٩	٤٧٢	فتح الخليج يوم ٢٠ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٩ أصبعا
١٠٨٠	٤٧٣	» » ٥ توت » » ١٥ » » ١٥ » »
١٠٨١	٤٧٤	» » ٢٥ مسرى » » ١٥ » » ١٨ » »
١٠٨٢	٤٧٥	بلغ الماء في ٢٥ توت ١٤ ذراعا ولكن كانت نهاية الفيضان في هذه السنة ١٥ ذراعا و ١٠ أصابع
١٠٨٣	٤٧٦	فتح الخليج في ٢ النسيء ونقص في ٩ بابه
١٠٨٤	٤٧٧	فتح الخليج في ٢٤ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا نقص في ٤ بابه
١٠٨٧	٤٨٠	هلك الزرع والغلات والمخازن من كثرة الماء
١٠٨٨	٤٨١	انتهت الزيادة الى ١١ ذراعا وأصبعا ثم هبط سريعا
١١٩١	٤٨٤	انتهت الزيادة الى ١٦ ذراعا ثم هبط ووقع الغلاء بمصر
١١٢٣	٥١٧	كان الوفاء على ١٦ ذراعا و ١١ أصبعا ثم نقص ولم يثبت فوق الغلاء
١١٢٤	٥١٨	كان النيل عاليا
١١٤٩	٥٤٤	عظمت زيادة النيل وبلغ ١٨ ذراعا و ١٣ أصبعا فسقطت الجدران وغرقت البساتين وفارت الآبار
١١٦٤	٥٥٩	فتح الخليج في ٢٠ رمضان
١١٧٦	٥٧٢	بلغت الزيادة ١٦ ذراعا
١١٨٠	٥٧٦	هبط النيل بدرجة لم يعهد حصولها إلا مرة واحدة في دولة الفاطميين
١١٨١	٥٧٧	اشتد الوباء ومات نحو ثلاثة أرباع أهل البلاد وكان وفاة النيل في ١٦ مسرى من هذه السنة
١١٨١	٥٧٧	فتح الخليج في ٤ ربيع الثاني والماء على ١٦ ذراعا و ١٥ أصبعا وقال الناس سنة سبعة افترست أسباب الحياة
١١٨٢	٥٧٨	بلغت الزيادة ١٨ ذراعا و ١٣ أصبعا وهذا الحد كان يسمى وقتها اللجة الكبرى فسقطت الجدران وغرقت البساتين

عظمت زيادة النيل والجزء الثامن من المذكرات نقلا عن المقر يري في الخطط وهذا من النوادر الغريبة التي لم يسمع بمثناها قط	١١٨٣	٥٧٩
بلغت الزيادة ١٦ ذراعا إلا ثلاث أصابع ووقف فكسر السد ووقع الغلاء بمصر	١١٨٤	٥٨٠
لم يزد النيل إلا زيادة يسيرة وهبط من غير وفاء فوقع الغلاء وعدمت الأقوات من مصر واستمر الحال على ذلك ثلاث سنين متوالية فمات من شدة الغلاء الثلث	١١٩١	٥٨٧
كسر الخليج والماء على ١٣ ذراعا إلا ثلاث أصابع وشرقت الاراضى وعم الغلاء والبلاء	١٢٠٠	٥٩٦
توقف النيل عن الزيادة في هذه السنة لغاية ٦ توت ولم يبلغ إلا ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وهبط من يومه . فحدث بمصر حوادث من جهة القحط والفناء والموت والمهاجرة ما لم يسبق له مثيل في القحط السابقة وقال العماد السكاتب في وصف حوادث هذه السنة اشتد الغلاء وامتد البلاء وتحذت المجاعة وتفرقت الجماعة وهلك القوى فكيف الضعيف	١٢٠١	٥٩٧
زاد النيل زيادة كثيرة ورخصت الأسعار	١٢٠٣	٥٩٩
جاء في ابن اياس ان النيل بلغ ١٦ ذراعا و ٣ أصابع ولم يثبت فوق الغلاء وكان في قاع النيل ذراعين	١٢٣٠	٦٢٧
بلغ النيل بعد توقف كبير ١٦ ذراعا و ٣ أصابع وكان غلاء شديد ووصل القمح خمسة دنانير وجاء في ابن اياس أن نهاية الفيضان كانت ١٦ ذراعا فقط	١٢٣١	٦٢٨
بلغت الزيادة ١٨ ذراعا و ٦ أصابع وطال مكثه الى آخر هاتور نفاف الناس عدم هبوطه	١٢٣٢	٦٢٩
ولم يقع مثله	١٢٤٠	٦٣٧
شح النيل ولم يثبت فوق الغلاء	١٢٦٣	٦٦١
أوفى النيل أول ايام النسيء	١٢٧٣	٦٧٢
بلغ النيل ١٥ ذراعا و ٣ أصابع ولم يثبت فوق الغلاء	١٢٩٤	٦٩٣
بلغت زيادة النيل ١٦ ذراعا و ١٧ أصبعا ثم هبط وحصل بديار مصر غلاء شديد	١٢٩٥	٦٩٤
بلغت زيادة النيل الى أول توت ١٥ ذراعا و ١٨ أصبعا ثم نقص ولم يوف	١٢٩٧	٦٩٦
أوفى بعد توقف	١٢٩٨	٦٩٧

١	٢
(حسن المحاضرة وكوكب الروضة)	٦٩٩ ١٢٩٩
قال ابن أبي جملة قد زاد النيل حتى غرق البلاد ووقع البلاء وعم البلاء	٧٠٢ ١٣٠٣
أوفى بعد توقف وانتهت الزيادة الى ١٥ ذراعا و ١٧ أصبعا فشرقت	٧٠٤ ١٣٠٤
البلاد ووقع الغلاء	
(حسن المحاضرة)	٧٠٥ ١٣٠٥
توقف النيل واستسقى الناس فلم يسقوا وانتهت زيادته في ٢٧ توت	٧٠٩ ١٣٠٩
الى ١٥ ذراعا و ١٧ أصبعا فشرقت البلاد ووقع الغلاء وفي ١٧ باب	
نقص جملة واحدة	
(ابن اياس وكوكب الروضة)	٧١٣ ١٣١٣
وكان الماء على ١٦ ذراعا وجاء في كوكب الروضة أن فتح الخليج	٧١٧ ١٣١٧
كان ثاني يوم من النقص ثم زاد زيادة عظيمة	
(النجوم الزاهرة)	٧٢١ ١٣٢١
(» »)	٧٢٢ ١٣٢٢
(» »)	٧٢٥ ١٣٢٥
قال ابن المتوج : ان النيل بلغ ١٦ ذراعا و ٣ أصابع بعد توقف	٧٢٧ ١٣٢٧
عظيم ووصل القمح خمسة دنانير (الاردب) وذكر المقرئ	
انه بلغ ١٣ ذراعا و ١٣ أصبعا وان مقدار التحريق كان ذراعين	
كانت زيادة النيل ١٨ ذراعا و ٦ أصابع وتأخر نزوله حتى خاف	٧٢٩ ١٣٢٩
الناس عدم هبوطه	
جاء في كنز الدرر ان الوفاء كان في ٢٠ مسرى وفتح الخليج في	٧٣١ ١٣٣١
يومها والماء على ١٦ ذراعا	
(النجوم الزاهرة)	٧٣٦ ١٣٣٥
(» »)	٧٣٨ ١٣٣٧
بلغت الزيادة ١٦ ذراعا و ١٠ أصابع ثم هبط سريعا فشرقت الأرض	٧٣٩ ١٣٣٨
ووقع الغلاء وذكر كوكب الروضة أصابع	
تأخر النيل في بلوغه درجة الفيضان	٧٤٠ ١٣٣٩
بلغ النيل ٢٠ ذراعا و ١٥ أصبعا ففرقت البساتين وانقطعت	٧٤٤ ١٣٤٣
الطرق والجسور	
كان التحريق شديدا مع ان صاحب النجوم قال ان التحريق	٧٤٧ ١٣٤٦
كان ٥ أذرع	
كان التحريق شديدا مع ان صاحب النجوم قال ان التحريق كان	٧٤٩ ١٣٤٨
٤ أذرع و ٢٠ أصبعا	

بلغ النيل ١٧ ذراعا وهبط في ٥ توت فشرقت بلاد كثيرة ووقع الغلاء وتوالى الشراق ثلاث سنين فشق الأمر على الناس سنة شراق	٧٥١	١٣٥٠
» »	٧٥٢	١٣٥١
» »	٧٥٣	١٣٥٢
ثبت الى أول هاتور فدعا الناس بهبوطه وبلغ ١٩ ذراعا و ٤ أصابع قال المقريزي : كان النيل مما يتعجب منه فان القاعدة كانت ١٢ ذراعا. وبلغ ١٩ ذراعا و ٩ أصابع وأبطل النداء عليه حتى بلغ ٢٤ ذراعا وخرّب عدة مساكن وثبت الى آخر بابه فدعوا الله بهبوطه توقف النيل ولم يوف إلا في ٣ توت وبلغ ١٧ ذراعا و ٤ أصابع . ثم هبط سريعا ووقع الغلاء	٧٦٠	١٣٥٩
	٧٦١	١٣٦٠
طال مكث النيل فدعوا الله بهبوطه واستمر في ثبات الى آخر هاتور وفات أوان الزراعة وجاء في كوكب الروضة أنه كان ٢٠ ذراعا وأصابع . وفي النجوم الزاهرة ١٨ ذراعا و ٤ أصابع توقف النيل عن الزيادة وكسر السد بعد النيروز بنقص ٥ أصابع عن الوفاء ثم هبط من يومه فاضطربت الأحوال كان النيل عاليا واستمر حتى دعا الناس بهبوطه . قال المقريزي : انتهت زيادة النيل الى ٢٠ ذراعا و ٣ أصابع فد ذلك طوفاناً . وكتب الصاحب نضر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق ابن مكناس الى البدر اليشتكي رسالة في ذلك قال في مطلعها : رب اجعلنا في هذا الطوفان من الآمنين وسلام على نوح في العالمين مع علو النيل مكث طويلا ففرقت واضع وتهدمت دور . وذكر ابن اياس مقدار النيل وهو ٢٠ ذراعا و ٥ أصابع انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ١٨ أصبعاً وثبت الى تسع بابه فعد ذلك من النوادر ثبت الى آخر بابه فكان طوفاناً . وقال كوكب الروضة رابع بابه . وقال : أن الوفاء كان في ثالث مسرى وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ٢٠ أصبعاً بلغ ١٩ ذراعا و ٨ أصابع وثبت الى رابع بابه فكان طوفاناً (الجزء الثامن من المذكرات) توقف النيل وكسر السد في أول توت مع نقص أربع أصابع على الوفاء ووقع الغلاء وجاء في النجوم الزاهرة أن النيل أوفى خامس توت .	٧٦٤	١٣٦٣
	٧٧٣	١٣٧١
	٧٧٥	١٣٧٣
	٧٨٤	١٣٨٢
	٧٨٥	١٣٨٣
	٧٩١	١٣٨٩
	٧٩٣	١٣٩١
	٧٩٧	١٣٩٥
	٧٩٩	١٣٩٧
	٨٠٦	١٤٠٣

٥	٢
احترق النيل احتراقاً شديداً	٨٠٧ ١٤٠٤
(الجزء الثامن من المذكرات)	٨٠٨ ١٤٠٥
أوفي النيل وفتح الخليج في أول يوم من مسرى . وقال ابن اياس : أنه بلغ ٢٢ ذراعاً وأصبغاً وثبت إلى نصف هاتور فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الزائد وغرق أكثر البلاد . وقال المقرئ في أن الوفاء كان في ٢٩ أبيب .	٨١٢ ١٤٠٩
(ابن اياس) .	٨١٥ ١٤١٢
(») .	٨١٦ ١٤١٣
(») .	٨١٨ ١٤١٥
(») .	٨١٩ ١٤١٦
توقف النيل عن الزيادة واستق الناس وجاء في ابن اياس أنه أوفي وكان نيلاً شحيحاً ولم يثبت روى نصف البلاد ووقع الشراق والغلاء .	٨٢٣ ١٤٢٠
وبلغت الزيادة ١٨ ذراعاً و ٢٠ أصبغاً	٨٢٤ ١٤٢١
انتهت الزيادة إلى ٢٠ ذراعاً وأصبغاً وثبت إلى نصف هاتور فحصل ضرر عظيم من عدم هبوطه وتعذر الزرع لفوات أوانه . وجاء في كوكب الروضة أن الوفاء كان في ٢٩ أبيب .	٨٢٥ ١٤٢٢
(ابن اياس)	٨٢٦ ١٤٢٣
(»)	٨٢٧ ١٤٢٤
(»)	٨٢٨ ١٤٢٥
انتهت الزيادة إلى ١٧ ذراعاً وأصبغين ثم نقص بعد ذلك ولم يثبت فشرقت البلاد ووقع الغلاء	٨٣٠ ١٤٢٦
(ابن اياس)	٨٣١ ١٤٢٧
وهبط سريعاً فشرق غالب البلاد ووقع الغلاء	٨٣٢ ١٤٢٨
(ابن اياس)	٨٣٣ ١٤٢٩
وجاء في كوكب الروضة أنه أوفي في ٢٩ أبيب .	٨٣٤ ١٤٣٠
أوفي النيل في هذه السنة مرتين	٨٣٧ ١٤٣٣
بلغ النيل ٢٠ ذراعاً و ١٠ أصابع	٨٤٣ ١٤٣٩
بلغ النيل ٢٠ ذراعاً و ٣١ أصبغاً	٨٤٤ ١٤٤٠
أن النيل زاد زيادة مفرطة في رابع بؤونة ففرقت الأمكنة وحصل الضرر ووصل النيل في غير أوانه ١٩ ذراعاً و ٢٠ أصبغاً واستمرت الزيادة عمالة حتى أوفي في ٢٧ أبيب .	٨٤٥ ١٤٤١

	٢	١
توقف النيل عن الوفاء أياماً	١٤٤٩	٨٥٣
خس النيل وكسر الخليج وقد بقي ثمانى أصابع من الوفاء وحصل غلاء شديد وجاء في كوكب الروضة لم يوف النيل وكسر الخليج وبقى على الوفاء أصبع فهبط وشرقت الأرضى ووقع الغلاء أوفى بعد توقف واستسقاء	١٤٥٠	٨٥٤
أوفى بعد توقف واستسقاء : أن الوفاء كان في غاية ذى الحجة سنة ٨٧٠ الموافق ٢٠ مسرى . وكل التقاويم اجتمعت على أن ٢٠ مسرى يطابق غرة المحرم سنة ٨٧١	١٤٦٢	٨٦٦
أوفى بعد توقف وهبط سريعاً أثناء توت وتزايد الغلاء فتفتح السد أول يوم من مسرى وانتهت الزيادة الى ٢٠ ذراعا و ٢١ أصبعا في أواخر بابه ففرقت الأرضى والطرق وجاء في كوكب الروضة أن الوفاء كان في ٢٩ أبيب . وفتح السد في غاية أبيب	١٤٦٨	٨٧٣
انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ٣٣ أصبعا وهبط بسرعة في أواخر مسرى فاشتد الغلاء	١٤٧٧	٨٨٢
انتهت الزيادة الى ١٧ ذراعا فاشتد الغلاء وفي كوكب الروضة الوفاء في ٥ مسرى وكسر السد في ٦ منه . الموافق ليلة عيد الفطر وكسر السد ثانيا شوال وسارت بالبشرى في البلاد رسائل .	١٤٧٨	٨٨٣
أوفى بعد توقف وفتح الخليج يوم ٢٨ فكان الوفاء متأخرا نحو ٢٠ يوما ولم يعم سوى ايام ثم هبط سريعا فشرقت الأرضى وارتفعت الاسعار	١٤٧٩	٨٨٤
أوفى النيل في هذه السنة مرتين الاولى في ٢٩ مسرى والثانية في ٢٠ الحجة واستمر النيل في الثانية في ثبات الى اواخر بابه وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ١٧ اصبعاً وثبت الى نصف بابه . فتفتح السد في ٩ مسرى	١٤٨٤	٨٨٩
وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعا و ٢١ اصبعاً وكان نيلا شحيحا وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعا و ١٣ اصبعاً وثبت الى عشرين توت انتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا واصبعين وهبط سريعا وثبت على ١٩ ذراعا و ٥ اصابع الى عشرين بابه وانتهت الزيادة الى ١٨ ذراعا و ٢٢ اصبعاً وثبت الى اخر بابه وانتهت الزيادة الى ١٧ ذراعا و ٢١ اصبعاً وثبت الى آخر توت	١٤٨٥	٨٩٠
	١٤٨٩	٨٩٤
	١٤٩١	٨٩٦
	١٤٩٢	٨٩٧
	١٤٩٦	٩٠٢
	١٤٩٨	٩٠٤
	١٥٠٠	٩٠٦
	١٥٠١	٩٠٧
	١٥٠٢	٩٠٨
	١٥٠٣	٩٠٩
	١٥٠٥	٩١١
	١٥٠٧	٩١٣
	١٥٠٨	٩١٤
	١٥٠٩	٩١٥

التاريخ		
٢	١	
١٥١٠	٩١٦	وثبت على ١٩ ذراعا و ٩ اصابع الى ١٧ توت
١٥١١	٩١٧	وفتح السد في اليوم الذي يليه وانتهت الزيادة الى ٢٠ ذراعا واصبعا
١٥١٢	٩١٨	وانتهت الزيادة الى ١٩ ذراعا و ٤ اصابع
١٥١٤	٩٢٠	وفتح السد في سادس مسرى
١٥١٥	٩٢١	وثبت على ٢٠ ذراعا و ١٦ اصبعا في اوائل هاتور وحصل به غاية النفع وفتح السد في ٦ مسرى
١٥١٦	٩٢٢	وثبت على ١٩ ذراعا
١٥٧١	٩٧٩	سنة خصب حيث زاد النيل فيها زيادة كثيرة .
١٦٢٢	١٠٣١	زاد النيل زيادة عظيمة قريبا من ٢٣ ذراعا ثم بعد نزوله زاد زيادة أخرى عظيمة وتلف بعض الزرع واستمر الخليج يجرى بالقاهرة فوق ١٠٠ يوم وحصل بسبب ذلك غلاء عظيم
١٦٤١	١٠٥١	بلغت الزيادة ١٥ ذراعا وهبط فوق الغلاء والقحط
١٦٩٤	١١٠٦	قصر النيل وهبط بسرعة فشرقت الاراضى ووقع الغلاء
١٧٠٤	١١١٦	توقف النيل فاستسقوا وزاد في ١١ توت حتى بلغ ١٧ ذراعا فروى بعض البلاد وهبط سريعا فاشتد الغلاء
١٧٢٢	١١٣٤	قصر النيل في هذه السنة وغلت الأسعار في السنة التي بعدها
١٧٧٨	١١٩٢	زاد النيل زيادة مفرطة حتى انقطعت الطرقات واستمر الى آخر توت
١٧٨٣	١١٩٧	قصر النيل وهبط قبل الصليب بسرعة فشرقت البلاد القبلية والبحرية وغلت الاسعار حتى بلغ سعر القمح ١٠ ريالات (الاردب) واشتد جوع الفقراء
١٧٨٤	١١٩٨	قصر النيل فكانت شدة الغلاء كالسنة التي قبلها .
١٧٩٢	١٢٠٦	في المحرم من هذه السنة هبط النيل مرة واحدة فشرقت الاراضى ولم يرو منها إلا القليل فاشتد الغلاء
١٧٩٢	١٢٠٧	هبط النيل قبل الصليب بعشرة ايام وذلك بعد الوفاء الذي حصل في السنة التي قبلها وكان ناقصا عن ميعاد الري نحو ذراعين فقط
		الاسعار حتى بلغ ثمن الاردب من القمح ١٨ ريالا وأكلت الناس الميتة من الخيل والحمر والاطفال
١٧٩٣	١٢٠٨	بلغ النيل الزيادة المتوسطة وثبت الى اول بابه وشمل الماء غالب الاراضى بسبب التفات الناس الى سد المجارى وحفر الترعة واصلاح الجسور
١٧٩٩	١٢١٤	فتح الخليج يوم ٢٤ اغسطس
١٨٠٠	١٢١٥	فتح الخليج في ١٧ اغسطس وزاد النيل زيادة مفرطة حتى غرقت البلاد وتقطعت الطرق ومكث زائدا الى آخر توت

وكسر السد في ٧ منه	١٢١٧	١٨٠٢
وكسر الخليج صبحها وهو على ١٧ ذراعا ونقص ماء النيل في ايام النسي نقصا فاحشا وانحدر من على الارض فعلت الاسعار وقامت الناس شداً	١٢١٨	١٨٠٣
اوفي النيل ١٧ ذراعا وكسر الخليج في صبح يوم السبت	١٢١٩	١٨٠٤
فتح الخليج يوم الخميس ٩ مسرى . ويقال انه فتح قبل الوفاء	١٢٢١	١٨٠٦
فتح الخليج يوم السبت ٧ مسرى وكان ضعيفا وهاف الزرع	١٢٢٢	١٨٠٧
ما وفي النيل إلا بعد ان استقى الناس	١٢٢٣	١٨٠٨
اوفي وزاد زيادة مفرطة وتلف بعلوه الدراوى والاقتصاد بالوجه القبلى والارز والقطن	١٢٢٤	١٨٠٩
اوفي النيل بعد توقف طال زمنه واستسقى الناس في رابع شعبان ثم زاد النيل وثبت الى آخر ثوت واطمان الناس	١٢٢٥	١٨١٠
وفتح الخليج ثامن مسرى	١٢٢٦	١٨١١
ولم يحصل وفاء في آخر ابيب إلا مرة واحدة في سنة ١٢٨٣ وبينها وبين هذه السنة سنة ٤٧	١٢٣٠	١٨١٥
وفتح السد في ٥ منه	١٢٣١	١٨١٦
جاء النيل مبكراً في نصف بؤونه	١٢٣٢	١٨١٧
كانت زيادة النيل مفرطة لم يسمع بمثلها وأغرق كثيرا من الزرع الصيفية وانهدم بسببه قرى كثيرة وغرق كثير من الناس والحيوان وعلا الماء على جزيرة الروضة حتى صارت السفن تسير فوقها .	١٢٣٣	١٨١٨
كانت زيادة النيل مفرطة اكثر من العام الماضى واستمر عاليا الى منتصف هاتور حتى فات أوان الزراعة	١٢٣٤	١٨١٩
فتح السد رابع مسرى . وكانت زيادة النيل مفرطة وأغرقت الزرع والأماكن	١٢٣٥	١٨٢٠
لم يستتم النيل أذرع الوفاء الى ١٨ مسرى حتى ضجر الناس وضج الفلاحون	١٢٣٦	١٨٢١
وقد بلغ النيل ١٦ ذراعا و٧ أصابع وكانت نهاية النيل ٢٣ ذراعا وأصبعين	١٥٦٣	١٨٢٧
وكان الماء على ١٦ ذراعا وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا و٦ أصابع	١٢٦٤	١٨٤٨
وكان الماء على ١٥ ذراعا و ٨ أصابع وفي اليوم الذى به ١٦ ذراعا و ٨ أصبعا وكانت نهاية الفيضان ٢٠ ذراعا و ١٣ أصبعا وهبط مبكراً .	١٢٩٠	١٨٧٣

التاريخ		
١٨٧٤	١٢٩١	
		وكان الماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٦ ذراعا و ١٣ أصبعا وبلغ في نهاية الفيضان ٢٦ ذراعا و ١٣ أصبعا وحصل غرق تسبب عنه كسر قنطرة الشرقاوية وقطع السكة الحديدية التي هي بين بولاق الدكرور والمنيا واستمر الماء ١١٥ يوماً ولولا العناية التي بذلت من الحكومة وسنها قوانين صارمة لنشأ عن الفرق مضرات لا يمكن حصرها. وقد جمع الاجانب مبالغ بقصد عمل تمثال للغفور له الخديوي اسماعيل باشا في مقابلة العناية التي بذلها ولكنه فضل انشاء مدرسة مجانية أنشئت في الاسكندرية بدلا من اقامة التمثال وهي باقية للآن
١٨٧٥	١٢٩٢	والماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا وهو أزيد من الوفاء بثلاث عشر قيراطاً وكانت نهاية الفيضان ٣٣ ذراعا و ٢٢ أصبعا
١٨٧٦	١٢٩٣	والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من الوفاء بثلاثة قرايط . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢٣ أصبعا .
١٨٧٧	١٢٩٤	والماء على ١٥ ذراعا و ٣ أصابع وهو المقدار المقرر للوفاء ولم يبلغ النيل إلا ١٧ ذراعا و ٣ أصابع وهبط سريعا لحصل شراق ترتب عليه ترك نصف مال الوجه البحري ومعظم مال الوجه القبلي حتى بلغ قيمة المتروك من المال ١,١٢٠,٠٠٠ جنهما عن ١,٣٠٠,٠٠٠ فداناً وقد بلغ ثمن الأردب القمح ثلاثة جنيهات والذرة جنيهين واكل بعضهم الحشائش لسد الرمق ومات بعضهم وكثرت وقائع القتل والسلب والنهب
١٨٧٨	١٢٩٥	والماء على ١٥ ذراعا و ٥ أصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراطين . وكانت نهاية الفيضان ٢٦ ذراعا و ٦ أصابع ومكث الماء في علوه ١٠ أيام
١٨٧٩	١٢٩٦	والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من المقدار المقرر للوفاء بثلاثة قرايط. وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا و ١١ أصبعا
١٨٨٠	١٢٩٧	والماء على ١٥ ذراعا و ٦ أصابع وهو أزيد من الوفاء بثلاثة قرايط . وكانت نهاية الفيضان ٢١ ذراعا و ١٧ أصبعا وهبط سريعا حيث لم يمكث سوى ٥٩ يوماً .
١٨٨١	١٢٩٨	والماء على ١٥ ذراعا و ٤ أصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراط واحد . وكانت نهاية الفيضان ٢١ ذراعا و ٩ أصابع ولم يمكث سوى ٥٩ يوماً .
١٨٨٣	١٣٠٠	والماء على ١٥ ذراعا و ٢٢ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٧ ذراعا و ٣ أصابع وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا وأصبعا .

التاريخ		
٢	١	
١٨٨٤	١٣٠١	وكان الماء على ١٥ ذراعا و ١٢ أصبعا وفي اليوم الذي بعده ١٦ ذراعا و ١٧ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ١١ أصبعا
١٨٨٥	١٣٠٢	وكان الماء على ١٥ ذراعا و ٣ أصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . واحتفل بحجرات الخليج في غاية أيبب موافق ١٥ أغسطس سنة ١٨٨٥ والنيل يومها ١٧ ذراعا و ١٨ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ١٨ أصبعا
١٨٨٦	١٣٠٣	والماء على ١٥ ذراعا و ١٣ أصبعا وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا و ١٠ أصابع وقطع الخليج في ١٧ أغسطس سنة ١٨٨٦ والماء على ١٨ ذراعا و ١٦ أصبعا وبلغ في النهاية ٢٢ ذراعا و ٧ أصابع
١٨٨٧	١٣٠٤	والماء على ١٥ ذراعا و ١٦ أصبعا بزيادة ١٣ قيراطا عن الوفاء وجبر الخليج أول مسرى سنة ١٦٠٣ والماء على ١٥ ذراعا و ١٩ أصبعا وكانت نهاية الفيضان ١٨ ذراعا و ١٤ أصبعا ولم يصل لهذا المقدار الا في فترة صغيرة فتخلف كثير من الأراضي بدون ري بلغ مقدارها ٢٧٩٦٠ فدان ودفع مالها البالغ قدره ٣٤٢٥٣٧ جنهما فقرر مجلس النظار في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ قيام نظارة الاشغال باجراء تخفيف ويلات الشراقي وبلغها ذلك في ١٩ نوفمبر من تلك السنة
١٨٨٩	١٣٠٦	والماء على ١٥ ذراعا و ٩ اصابع وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا . وقطع الخليج في ٦ مسرى سنة ١٦٠٥ وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢١ أصبعا
١٨٩٠	١٣٠٧	والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراط . وجبر الخليج في ٣ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ٢٣ أصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٤ اصبعا
	١٣٠٨	خلت سنة ١٣٠٨ من وفاء النيل
١٨٩١	١٣٠٩	والماء على ١٥ ذراعا و ١١ اصبعا وكان في اليوم الذي يليه ١٦ ذراعا و ٥ اصابع . وقطع الخليج في ٩ مسرى سنة ١٦٠٧ والماء على ١٧ ذراعا و ١٢ اصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٢٠ اصبعا وتخلف ٧٨٣٠ فدان بدون ري ورفع مالها وقدره ٦٥٢٢ جنهما .
١٨٩٢	١٣١٠	والماء على ١٥ ذراعا و ٨ اصابع وهو ازيد بخمس قرايط عن الوفاء وجبر الخليج في ٣ مسرى والماء على ١٥ ذراعا و ٢٢ اصبعا . وكانت نهاية الفيضان ٢٥ ذراعا واصبعين .

١٨٩٣	١٣١١	١
١٨٩٤	١٣١٢	٢
١٨٩٥	١٣١٣	٣
١٨٩٦	١٣١٤	٤
١٨٩٧	١٣١٥	٥
١٨٩٨	١٣١٦	٦
١٨٩٩	١٣١٧	٧
١٩٠٠	١٣١٨	٨
١٩٠١	١٣١٩	٩

والماء على ١٥ ذراعا و ٥ اصابع وهو ازيد بقراطين عن الوفاء .
وجبر الخليج في ٧ مسرى سنة ١٦٠٩ والماء على ١٦ ذراعا
و ١٧ اصبا . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ١٩ اصبا وتخلف
٧٠٥٩ فدان بدون رى ورفع مالها وقدره ٦٣٦٩ جنيهها .

والماء على ١٥ ذراعا واصبا وكان في اليوم الذى يليه ١٦ ذراعا .
وجبر الخليج في ٧ مسرى سنة ١٦١٠ والماء على ١٨ ذراعا و ٧
اصابع وبلغ في النهاية ٢٤ ذراعا و ٢١ اصبا .

والماء على ١٥ ذراعا و ٨ اصابع وهو ازيد من الوفاء بخمسة قراريط
وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ٢٢ اصبا .

والماء على ١٥ ذراعا و ٧ اصابع وهو ازيد ٣ قراريط عن الوفاء .
وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٤ اصبا .

والماء على ١٥ ذراعا و ٦ اصابع . وفتح الخليج في ١٨ اغسطس
سنة ١٨٩٧ وكانت نهاية الفيضان ١٩ ذراعا و ٢٠ اصبا وهبط
مبكراً وتخلف ١١١٩٩ فداناً بدون رى ورفع مالها وقدره
٨٧٧٤ جنيهها

والماء على ١٥ ذراعا و ٥ اصابع وكان في اليوم الذى يليه ١٧ ذراعا
وجبر الخليج في ١٠ مسرى والماء على ١٩ ذراعا و ١٦ اصبا .
وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٠ اصابع وتخلف ٩٧٢٨ فداناً
بدون رى ورفع مالها وقدره ٨٥٦٠ جنيهها .

والماء على ١٥ ذراعا و ٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء وكانت
نهاية الفيضان ١٦ ذراعا فقط ومع كونه منحطاً فان أيام الفيضان
لم تزد عن ٧٥ يوماً .

والماء على ١٥ ذراعا و ١٢ اصبا . وكان في اليوم الذى يليه ١٦
ذراعا و ١٤ اصبا وكان جبر الخليج في ١٥ اغسطس سنة ١٩٠٠
والماء على ١٨ ذراعا و ٨ اصابع . وكانت نهاية الفيضان ٢٠ ذراعا
و ١٤ اصبا وتخلف ١١٨٢٨ فداناً بدون رى ورفع مالها من
ميزانية السنة التى بعدها وقدره ٨٥٨٩ جنيهها .

والماء على ١٥ ذراعا و ٧ اصابع وهو ازيد بأربعة قراريط عن الوفاء
وكانت نهاية الفيضان ٢١ ذراعا و ٨ اصابع وكان نيلاً قليلاً وتخلف
٧٤٥٣ فداناً بدون رى ورفع مالها من ميزانية السنة التى بعدها
وقدره ٥٧٧٥ جنيهها

	١٩٠٢	١٣٢٠
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وهو أزيد من الوفاء بقيراط واحد وكانت نهاية الفيضان ١٨ ذراعا و ١٢ اصبعاً وتختلف بسبب انحطاط النيل نحو ١١٩٣٧٢ فداناً بدون رى ورفع ملها وقدره ١٠٨٠٢٤ . جنيتها من ميزانية السنة التى بعدها .		
والماء على ١٥ ذراعا و ٦ اصابع وهو أزيد من الوفاء بثلاثة قراريط . واحتفل بوفاء النيل فى ٣٧ اغسطس والماء على ١٨ ذراعا و ١٨ اصبعاً . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٩ اصابع .	١٩٠٣	١٣٢١
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وهو زائد قيراط عن الوفاء . واحتفل بالوفاء فى ٢٧ اغسطس والماء على ١٨ ذراعا و ٨ اصابع . وكانت نهاية الفيضان ١٩ ذراعا واصبعين وانصرف مبكراً ولم يرو من الوجه القبلى ما روى إلا بسبب اقفال قناطر اسيوط التى تم انشاؤها سنتها .	١٩٠٤	١٣٢٢
والماء على ١٥ ذراعا و ٩ اصابع وفيه ٦ اصابع زيادة عن الوفاء . وفيه احتفل بالوفاء . وكانت نهاية الفيضان ١٩ ذراعا واصبعين وكان الأمر كالعام الماضى .	١٩٠٥	١٣٢٣
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وفيه قيراط زيادة عن الوفاء . واحتفل فى ٢٥ اغسطس بالوفاء . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٨ اصابع والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وفيه قيراط زيادة عن الوفاء . واحتفل بالوفاء فى اليوم الذى قبله . وكانت نهاية الفيضان ١٨ ذراعا و ١٢ اصبعاً ومع كون النيل منحنياً انصرف مبكراً .	١٩٠٦	١٣٢٤
والماء على ١٥ ذراعا و ٧ اصابع وهو ازيد من الوفاء باربعة قراريط . واحتفل بالوفاء فى ٢٢ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٤ ذراعا و ٤ اصابع .	١٩٠٧	١٣٢٥
والماء على ١٥ ذراعا و ٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . واحتفل بوفاء النيل فى ٢١ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٦ اصبعاً .	١٩٠٨	١٣٢٦
والماء على ١٥ ذراعا و ٩ اصابع وفيه ٦ قراريط زيادة عن الوفاء . واحتفل بالوفاء فى ٢٥ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٣ ذراعا و ١٠ اصابع .	١٩٠٩	١٣٢٧
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وفيه قيراط زيادة عن الوفاء . واحتفل بالوفاء فى ٢٣ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٤ اصابع .	١٩١٠	١٣٢٨
والماء على ١٥ ذراعا و ٤ اصابع وفيه قيراط زيادة عن الوفاء . واحتفل بالوفاء فى ٢٣ اغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٢٢ ذراعا و ٤ اصابع .	١٩١١	١٣٢٩

التاريخ		
هـ	م	
١٣٣٠	١٩١٢	والماء على ١٥ ذراعا و٧ اصابع وهو أزيد بأربعة أقدام عن الوفاء . واحتفل بالوفاء في ١٩ أغسطس . وكانت نهاية الفيضان ٣٠ ذراعا و ٨ اصابع .
١٣٣١	١٩١٣	والماء على ١٥ ذراعا و ٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . ولكن احتفل بوفاء النيل في هذه السنة في ٤ سبتمبر والماء على ١٤ ذراعا و ١٣ قيراطا ووقع على محضر الوفاء حضرات أصحاب السعادة حسين باشا واصف مفتش رى الجيزة وامين بك واصف مدير الجيزة حينذاك بان هذا المقدار وان كان أقل من ١٥ ذراعا و ٣ اصابع إلا انه بالنسبة للنظامات الحديثة يكفي للوفاء . وكانت نهاية الفيضان في هذه السنة ١٥ ذراعا و ٦ اصابع وانه لولا اتمام عملية الخران في تلك السنة ما تيسر رى ما روى من اراضى القطر مطلقا والماء على ١٥ ذراعا و ٣ اصابع وهو المقدار المقرر للوفاء . واحتفل بوفاء النيل في ٢٧ أغسطس سنة ١٩١٤ وكانت منتهى الزيادة ٣١ ذراعا و ١٠ اصابع .



تمثال للنيل على شكل انسان محفوظ اليوم في حدائق التويليرى بباريز
Le Nil personnifié. Statue du jardin des Tuileries

نتائج زيادة النيل ونقصانه

في عهد العرب

لما فقدت مصر استقلالها قبل ألفي سنة تهاون ولاية الأمور الأجانب في شؤون البلاد ، حتى أهملوا نظام الري ، وتعطلت زراعة الأرض ، ونضبت موارد المعيشة على الناس ، فهاجروا وهجروا البلاد فصارت بعدهم اطلالاً بالية وآثاراً خاوية ، وأصبح كثير من الجهات حُفراً ومستنقعات . ولو كان في هذه العصور حكومة وطنية تهتم بالمصالح الحيوية لما تمادت على هذا الإهمال الذي أوقع البلاد في مهاوى الدمار والحراب

وكانت زيادة النيل في هذه العصور تهاجم المدن والقرى فتدمرها لعدم إقامة الجسور واختلال نظام الري الذي عليه مدار الحياة . ومن طبيعة الحكومة الوطنية أن تحافظ على نظامها المرتبط بحياة الأمة ، ولكن من سوء حظ مصر أن توالى عليها إذ ذاك حكومات أجنبية مختلفة لم تهتم بمصلحة البلاد ولا بنظام شؤونها كما هي العادة قديماً وحديثاً في كل زمان ومكان وإذا نظرت إلى البلاد وجدتها تشقى كما تشقى العباد وتسعد

ومن المأثور عن نابليون بونابرت قوله « من علامة حسن الإدارة في البلاد أن ترى نظام الري معتدلاً والترع مطهرة والفيضان منفعاً به في كل مكان ، وإن علامة ضعف الحكومة واختلال شئونها أن ترى الترع معطلة لعدم تطهيرها والجسور مهدمة ونظام الري فاسداً وقوانين توزيع المياه جائرة » كم تحكمت في مصر حكومات أجنبية أثقلت عواتق الرعية بالضرائب الباهظة والغرامات الفادحة . فكنت ترى أفراد الهيئة الحاكمة من الوالى إلى الجندى البسيط ، لاهمّ للجميع إلا جمع المال وإحراز الثروة وأوقعوا النهب

والسباب في المصريين وأذلّوهم وأذاقوهم الأمرين حتى سئموا الحياة واضطروا للثورات السياسية

وكان عبد اللطيف البغدادي^(١) طبيباً ابن طبيب ، زار مصر سنة ٥٩٧ هـ وذكر ما حصل بها من البؤس والشقاء من جراء زيادة فيضان النيل في أرض مصر فقال في كتابه « مختصر أخبار مصر » :

« إن نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الأرض ، وذلك في شمس السرطان والأسد والسنبلة ، فيعلو على الأرض ويقيم أياماً ، فإذا نزل عنها حرثت وزرعت ثم يكثر النداء في الليل جداً ، وبه يتغذى الزرع الى أن يستحصد ، ونهاية ما تدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانية عشرة ذراعاً فان زاد على ذلك فانه يروى أمكنة مستعلية »

وروى لنا ما رآه بعينه من الفظائع التي وقعت في مصر سنة ٥٩٧ هـ « دخلت سنة سبع مفترسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وأقحطت البلاد وشمل أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع ، وانضوى أهلي السواد كالريف إلى أمهات البلاد ، وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن ، وتفرقوا في البلاد أيادي سبا ومزقوا كل ممزق ، ودخل إلى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت ، وعند نزول الشمس بالحمل وبرد الهواء ووقع المرض والموت واشتد بالفقراء الجوع حتى اكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والأرواث ، ثم تعدوا ذلك الى أن اكلوا صفار بني آدم ، فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صفار مشويون أو مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل

(١) عبد اللطيف البغدادي هو الامام موفق الدين أبو محمد بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعيد ويسرف بابن اللباد موصلی الاصل ببغدادی المولد . زار مصر وأقام بها من سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) الى ما بعد سنة ٥٩٨ هـ (سنة ١٢٠١ م) وتوفي ببغداد سنة ٦٢٩ هـ (٩ نوفمبر سنة ١٢٣١ م)

ورأيت صغيراً مشوياً في قفة وقد أحضر الى دار الولي ومعه رجل وامرأة
زعم الناس انهما أبواه فأمر باحراقهما

ووجد في رمضان بمصر رجل وقد جردت عظامه من اللحم ، فأكل
وبقي قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم . ولذلك تطلبه بكل حيلة وكذلك كل
من أثر الاطلاع على علم التشريح وحين ما تشم الفقراء في اكل بنى آدم كان
الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون في ذلك استغظاساً لأمره وتعجباً من نذوره
ثم اشتد اليه اضطرارهم بحيث اتخذوه معيشة ومطية ومدخراً وتقنوا
فيه وفشا عنهم ، ووجد بكل مكان من ديار مصر ، فسقط حينئذ التعجب
والاستشناع واستهجن الكلام فيه والسماع له . ولقد رأيت امرأة مشججة
يسحبها الرعاع في السوق ، وقد ظفر معها بصغير مشوى تأكل منه وأهل
السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شئونها ، لم أرَ فيهم من يعجب لذلك
أو ينكره ، فعاد تعجبي منهم أشد وما ذلك إلا لكثرة تكرره على
احساسهم ، حتى صار في حكم المألوف الذي لا يستحق أن يتعجب منه

ورأيت قبل ذلك يومين صبيّاً نحو الرهاق مشوياً ، وقد أخذ به شابان
أمرّاً بقتله وشبهه وأكل بعضه . وفي بعض الليالي بعد صلاة المغرب كان مع
جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير ، فينما هو الى جانبها انتهزت غفلتها عنه
صعلوكة ، فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نياً ، وحكيّت لى عدة نساء أنه
يتوثب عليهن لاقتناص أولادهن ويحامين عنهم بجهدهن

ورأيت مع امرأة فطيماً حليماً فاستحسنته وأوصيتها بحفظه ، فحكت لى
أنها يننا تمشى على الخليج انتقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها ، فترامت
على الولد نحو الأرض حتى أدركها فارس وطرده عنها ، وزعمت أنه كان يهيم بكل
عضو يظهر منه أن يأكله وأن الولد بقى مدة مريضاً لشدة تجاذبه بين المرأة والمفترس

وتجد أطفال الفقراء وصبيانهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس ، مندثين
فى جميع أقطار البلاد وأزقة الدروب كالجراد المنتشر ، ورجال الفقراء ونسائهم
يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم فى الندرة واذا لم
يحسنوا التحفظ

واكثر ما كان يقع من ذلك مع النساء وما أظن العلة فيه الا أن النساء
أقل حيلة من الرجال ، وأضعف عن التباعد والاستتار : ولقد أحرق بمصر
خاصة فى أيام يسيرة ثلثون امرأة كل منهن تقر أنها أكلت جماعة ، فرأيت
امرأة قد أحضرت الى الوالى وفى عنقها طفل مشوى فضربت أكثر من
٢٠٠ سوط على أن تقر فلا تحير جواباً ، بل تجدها قد انحلمت عن الطباع
البشرية ثم سحبت فانت على مكان

واذا أحرق آكل أصبح وقد صار ، أكولاً لأنه يعود شواء ويستغنى
عن طبخه

ثم نشأ فيهم أكل بعضهم بعضاً حتى تفانى أكثرهم ، ودخل فى ذلك
جماعة من المياسير والمساكين منهم من يفعله حاجة ومنهم من يفعله استطابة
وحكى لنا رجل انه كان له صديق أدقع فى هذه النازلة ، فدعاه صديقه
هذا الى منزله ليأكل عنده على ما جرت به عادتهما قبل . فلما دخل منزله
وجد عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر ، وبين أيديهم طيبخ كبير اللحم وليس معه
خبز ، فراه ذلك وطلب المرحاض ، فصادف عنده خزنة مشحونة برم الآدمى
وباللحم الطرى ، فارتاع وخرج فاراً . وظهر من هؤلاء الخبثاء من يتصيد
الناس باصناف الحبايل ، ويحتلبونهم الى مكانهم بأنواع الختايل ، وقد جرى
ذلك لثلاثة من الأطباء : أما أحدهم فان أباه خرج فلم يرجع ، وأما
الآخر فان امرأة اعطته درهين على أن يصحبها الى مريضها ، فاما توغلت به

مضاييق الطرق استراب وامتنع عنها وشنع عليها فتركت درهميها وانسلت ،
وأما الثالث فان رجلاً استصحبه الى مريضه في الشارع يزعمه وجعل في اثناء
الطريق يصدق بالكسر ويقول اليوم يغتنم الثواب ويتضاعف الأجر ولمثل
هذا فليعمل العاملون ، ثم كثر حتى ارتاب منه الطبيب ومع ذلك فحسن
الظن يغلبه وقوة الطبع تجذبه حتى أدخله داراً خربة فزاد استشهاده وتوقف
في الدرج

وسبق الرجل فاستفتح نخرج اليه رفيقه يقول له هل مع ابائناك حصل
صيد ينفع نخرج الطبيب لما سمع ذلك ، وألقى نفسه الى اصطبيل من طاقة
صادفها لسماعته ، فقام اليه صاحب الأصطبيل يسأله عن قضيتته فأخفاها عنه
خوفاً منه أيضاً ، فقال له قد عامت حالك فان أهل هذا المنزل يذبجون
الناس بالختل

ووجد باطفيح عند عطار عدة خوابي ملأه بلحم الآدمي وعليه الماء
والمالح فسألوه عن علة اتخاذه والاستكثار منه فقال خفت اذا دام الجذب أن
يهزل الناس

وكان جماعة من الفقراء قد آووا الى الجزيرة وتستروا بيوت طين
يتصيدون فيها الناس ، ففطن لهم وطلب قتلهم فهربوا ، ووجد في بيوتهم من
عظام بنى آدم شيء كثير ، وخبرني الثقة أن الذي وجد في بيوتهم أربعمئة جمجمة
ومما شاع وسمع من لفظ الوالى أن امرأة أتته سافرة مدعورة ، تذكر
أنها قابلة وان قوماً استدعوها وقدموا لها صحناً فيه مكباج محكم الصنعة مكمل
التوابل فألقته كثير اللحم مبيناً للحم الممهود ، فتقرزت منه ثم وجدت خلوة
يدنت صغيرة فسألتها عن اللحم فقالت أن فلانة السمينة دخلت لتزورها
فذبجها أبى وها هي معلقة إرباً ، فقامت القابلة الى الخزانة فوجدتها أنابير

لحم فلما قصت على الوالى القصة ، أرسل معها من هجم الدار وأخذ من فيها
وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه فى خفية بثلمائة دينار ليحقق
بذلك دمه .

ومن غريب ما حدث من ذلك أن امرأة من نساء الأجناد ذات مال
ويسار كانت حاملاً ، وزوجها غائب فى الخدمة ، وكان يجاورها صعاليك
فشمت عندهم رائحة طبيخ فطلبت منه كما من عادة الحبالى فألفته لذيذ آفاستزادتهم
فزعوا أنه نفذ فسألهم عن كيفية عمله فأسروا اليها انه لحم بنى آدم فواطأهم
على أن يتصيدوا لها الصغار وتجزل لهم العطاء ، فلما تكرر ذلك منها وضريت
وغلبت عليها الطباع السبعية وشى بها جواربها خوفاً منها ، فهجم عليها فوجا
عندها من اللحم والمظام ما يشهد بصحة ذلك فخبست مقيدة وأرجىء قتلها
احتراماً لزوجها وابقاء على الولد فى جوفها

ولو أخذنا نقتص كل ما نرى ونسمع لوقعنا فى التهمة أو فى الهذر ، وجميع
ما حكيناه مما شاهدناه لم تنقصده ولا تتبعنا مظانه ، وانما هو شئ صدفناه
اتفاقاً ، بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره

وأما من يتحين ذلك بدار الوالى فانه يجد منه أصنافاً تحضر مع آناء الليل
والنهار ، وقد يوجد فى قدر واحدة اثنان وثلاثة وأكثر ، ووجد فى بعض الأيام
قدر فيها عشر أيدى كما تطبخ اكارع النعم ، ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس
كبيرة وبعض الاطراف مطبوخاً بقمح وأصناف من هذا الجنس تقوت الاحياء
وكان عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع فى حبالتهم
شيخ كتبى بدين ممن يبتاعون الكتب فأفلت بجريعة الذقن
وكذلك بعض أقوام من جامع مصر وقع فى حباله قوم آخرين بالقرافة

فتداركه الناس بخلص من الوهق وله حصاص وأما من خرج عن أهله فلم يرجع اليهم بخلق كثير

وحكى لى من أثق به أنه اجتاز على امرأة بخربة وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجروهي تأكل من انخازه فأ نكر عليها فزعمت أنه زوجها وكثيراً ما يدعى الآكل أن المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك . ورؤى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بأن قالت انما هو ولد ابنتى وليس بأجنبي منى ، ولأن آكله أنا خير من أن يأكله غيرى ، واشباه هذا كثير جداً حتى انك لا تجد احداً فى ديار مصر الا وقد رأى شيئاً من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء فى خدورهن

ومما شاع أيضاً نبش القبور واكل الموتى . وبيع لحومهم وهذه البلية التى شرحتها وجدت فى جميع بلاد مصر ليس فيها بلد إلا وقد اكل فيه الناس أكلاً ذريعاً من اسواف وقوص والفيوم والمحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي

وخبرنى بعض أصحابى وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك ، وأعجب ما حكى لى أنه عاين روس خمسة صغار مطبوخة فى قدر واحدة بالتوابل الجيدة ، وهذا المقدار فى هذا الاقتصاص كان فانى وان كنت قد اسهبت اعتقد أنى قد قصرت ، وأما القتل والفتك فى النواحي فكثير فاش فى كل فج ، ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية . وقد كان بطريق الفيوم ناس فى مراكب يرخصون الأجرة على الركاب ، فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم وظفر الوالى منهم بجماعة فقتل بهم وأقر بعضهم عند ما أوجع ضرباً أن الذى خصه دون رفقائه ستة آلاف دينار . وأما موت الفقراء هزالاً وجوعاً فأمر لا يحيط علمه الا الله سبحانه

وتعالى ، وإنما نذكر منه كالانموذج يستدل به اللبيب على فظاعة الأمر
فالذى شاهدنا بمصر والقاهرة ، وما يليهما أن الماشى أين كان لا يزال
يقع قدمه أو يصره على ميت أو من هو فى السياق أو على جمع كثير بهذه
الحال ، وكان يرفع من القاهرة خاصة الى الميضاة كل يوم ما بين مائة الى ٥٠٠
وأما مصر فليس لموتاهاء عدد ويرمون ولا يوارون وأما من عجزوا عن رميهم
فبقوا فى الأسواق وبين البيوت والدكاكين وفيها ، والميت منهم قد تقطع
والى جانبه الشواء والخباز ونحوه

وأما الضواحي والقرى فانه هلك أهلها قاطبة الى ما شاء الله ، وبعضهم
انجلى عنها اللهم إلا الأمهات والقرى الكبار كقوص والأشمونين والمحلة
ونحو ذلك ، ومع هذا أيضاً فلم يبق فيها إلا تحلة القسم ، وأن المسافر ليمر
بالبلدة فلا يجد فيها نافع ضرورة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى منقابلين
بعضهم قد ورم وبعضهم طرى وربما وجد فى البيت أثنائه وليس له من يأخذه
حدثنى ذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضد به قول الآخر ، قال
أحدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيواناً فى الأرض ولا فى السماء فتدخلنا البيوت
فالفينا أهلها كما قال الله عز وجل جعلناهم حصيداً خامدين ، فنجد ساكن كل
دار موتى فيها الرجل وزوجه وأولاده . قال ثم انتقلنا الى بلد آخر ذكر لنا
أنه كان فيه أربع مائة دكان للحياكة فوجدناها كالتى قبلها فى الخراب وأن
الحايك فى بير حيا كته ميت وأهله موتى حوله ، فحضر لى قول الله تعالى
ان كانت الأصيحة واحدة فاذا هم خامدون . قال ثم انتقلنا الى بلد آخر فوجدناه
كالذى قبله ليس به أنيس وهو مشحون بموتى أهله . قال واحتجنا الى الإقامة
به لأجل الزراعة فاستأجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة
بدرم قال ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترتع فى لحوم أهلها

ومن عجيب ما شاهدت انى كنت يوماً مشرفاً على النيل مع جماعة فاجتاز علينا فى نحو ساعة نحو عشرة موتى كأنهم القرب المنفوخة هذا من غير أن نتقصد رؤيتهم ولا أحطنا بعرض البحر ، وفى غد ذلك اليوم ركبنا سفينة فرأينا اشلا الموتى فى الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بانايش الفصل وخبرت عن صياد بفرضة تنيس أنه مر به فى بعض نهار أربع مائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح

وأما طريق الشام فقد تواترت الأخبار انها صارت مزرعة لبنى آدم بل محصدة وانها عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان كلابهم التى صحبتهم من منجلاهم هى التى تأكل فيهم

وأول من هلك فى هذا الطريق أهل الحوف عند ما اتجمعوا الى الشام وانتشروا فى هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ، ولم تزل تتواصل هلكهم الى الآن ، وانتهى اتجمعهم الى الموصل وبغداد وخرسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا فى البلاد كل ممزق

وكثيراً ما كانت المرأة تملص من بيتها فى الزحام فيضورون حتى يموتوا وأما بيع الأحرار فشاع وذاع عند من لا يراقب الله حتى تباع الجارية الحسناء بدراهم معدودة . وعرض على جاريتان مراهقتان بدينار واحد ورأيت مرة أخرى جاريتان احدهما بكر ينادى عليهما بأحد عشر درهما

وسألتنى امرأة أن اشترى ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم ، فعرفتها أن ذلك حرام فقالت خذها هدية . وكثيراً ما يتراعى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بأن يشتروهم أو يبيعوهم . وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سيدهم الى العراق واعماق خراسان وغير ذلك بموتهم أجمعين فارسل عوضهم فأت أكثرهم هكذا مرات فى عدة جهات

وسمعا من الثقات عن الاسكندرية أن الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثاً ومن عجيب الكائنات في هذه المدة أنه ولد مولود أبيض الشعر ورأيته وأما خراب البلاد والقرى وخلو المساكن والدكاكين فهو مما يلزم هذه الجلمة التي اقتصصناها وناهيك أن القرية التي كانت تشمل على زها عشرة آلاف نسمة تمر عليها فتراها دمنة ، وربما وجد فيها نفر وربما لم يوجد ، وأما مصر فخلا معظمها ، وأما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها بيت مسكون أصلاً ، بعد ما كان كل قطر منها قدر مدينة في زحمة من الناس ، حتى أن الرباع والمساكن والدكاكين التي في سرة القاهرة وخيارها أكثرها خال خراب

ولم يبق لأهل المدينة وقود في تنانيرهم وأفرانهم وبيوتهم الا خشب السقوف والأبواب والزروب ، ومما يقضى منه العجب أن جماعة من الذين ما زالوا محدودين سعدوا في دنياهم هذه السنة ، فمنهم من أثرى بسبب متجرة من القمح ، ومنهم من أثرى بسبب مال انتقل اليه بالارث ، ومنهم من حسنت حاله لا بسبب معروف فتبارك من بيده القبض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط

واما خير النيل في هذه السنة فانه احترق في برمودة احترقا كثيراً ، وصار المقياس في أرض جرز وانحسر الماء عنه نحو الجزيرة ، وظهر في وسطه جزيرة عظيمة طويلة ومقطعات ابنية وتغير الماء في ريحه وطعمه ثم تزايد التغير ثم انكشف أمره عن خضرة طحلبية كلما تطاول الأيام ظهرت وكثرت كالتي ظهرت في ابيب من السنة الحالية ، ولم تزل الخضرة تتزايد الى آخر شعبان ثم تناقصت الى أن ذهبت وبقي في الماء أجزاء نباتية منبثة فقط وطاب طعمه

وريجحه ، ثم أخذ في رمضان ينمو وتقوى جريته الى اليوم السادس عشر منه ففاس فيه ابن أبى الرداد قاع البركة فكان ذراعين ، وأخذ في زيادة ضعيفة أضعف من السنة الخالية ، ولم يزل في زيادة ضعيفة الى ثامن ذى القعدة ، وهو السابع عشر من مسرى ، فزاد أصبعاً ثم وقف ثلاثة أيام ، فأيقن الناس بالبلا واستسلموا للهلكة . ثم أخذ في زيادات قوية أكثرها ذراع الى ثالث ذى الحجة وهو السادس من توت فبلغ خمس عشرة ذراعاً وست عشرة أصبعاً ثم انحط من يومه وانهمزم على فوره ، ومس بعض البلاد تحلة القسم فكأنما زارها طيف خياله في الحلم

وانما انتفع به ما كان في البلاد مطمئناً فاروى المنخفضات كالغريبة ونحوها غير أن القرى خالية عن فلاح أو حراث أصلاً ، فهم كما قال الله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ، وانما أرباب الجدات يجمعون شذاذهم ويلتقون أفرادهم وقد عز الحراث والبقر جداً حتى بيع الثور الواحد بسبعين ديناراً والهزيل بدون ذلك

وكثير من البلاد ينحسر عنها الماء بغير حقه ولغير وقته ، اذ ليس بها من يمسك الماء ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ريها وكثير مما روى يبور لعجز أهله عن تقاويه والقيام عليه ، وكثير مما زرع اكلمته الدودة . وكثير مما سلم منها اضوى وعطب ، ونهاية سعر القمح في هذه السنة خمسة دنانير الأردب والفول والشعير بأربعة دنانير ، وأما بقوص والاسكندرية فبلغ ستة دنانير

ومن الله سبحانه يرجوع الفرج وهو المتيح للخير بمنه وجوده وفي حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة ، دخلت هذه السنة والأحوال التي شرحناها في السنة الخالية على ذلك النظام الى زها نصفها فتناقص موت الفقراء لقلتهم لا لارتفاع السبب الموجب

وحكى أنه كان فى مصر تسع مائة منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجاً ، وقس على هذا سائر ما جرت العادة أن يكون فى المدينة من باعة وخبازين وعطارين وأسا كفة وخياطين وغير ذلك من الأصناف ، فإنه لم يبق من كل صنف من هؤلاء الا نحو ما بقى من الحصريين أو أقل من ذلك وأما الدجاج فعدم رأساً ، لولا أنه جلب منه شئ من الشام . وحكى لى أن رجلاً مصرياً شارف الفقر فألهم أن اشترى من الشام دجاجاً بستين ديناراً وباعها بالقاهرة على القماطين بنحو ثمانى مائة دينار ولما وجد البيض بيع بيضه بدرهم ثم بيضتين ثم ثلاثاً ثم أربعاً واستمر على ذلك . وأما الفراريج فيبيع الفروج بمائة درهم ولبث برهة يبيع الفروج بدينار فصاعداً

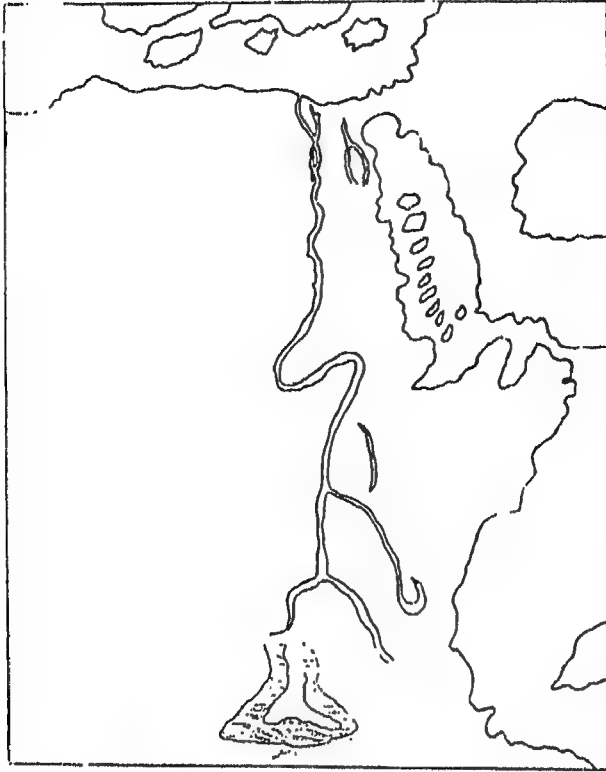
والذى دخل تحت الاحصاء من الموتى ممن كفن . وجرى له اسم فى الديوان وضمته الميضاة فى مدة اثنين وعشرين شهراً أولها شوال فى سنة ست وتسعين رجب فى سنة ثمان وتسعين مائة الف نفس واحد عشر ألفاً إلا آحاداً وهذا مع كثرة نزر فى جنب الذين هلكوا فى دورهم وفى أطراف المدينة وأصول الحيطان ، وجميع ذلك نزر فى جنب من هلك بمصر وما تأخها ، وجميع ذلك نزر فى جنب من أكل فى البلدين ، وجميع ذلك نزر جداً فى جنب من هلك واكل فى سائر البلاد والنواحي والطرق وخاصة طريق الشام فإنه لم يرد احد من ناحيته ، فسألته عن الطرق الا ذكر منها مزرعة بالأشلا والرم وهكذا ما سلكته منها ، ثم انه وقع بالفيوم والغربية ودمياط والاسكندرية موت عظيم ووباء شديد ولا سيما عند وقت الزراعة فيموت على المحراث الواحد عدة فلاحين . حكى لنا أن الذين بذروا غير الذين حرثوا كذلك الذين حصدوا

وباشر بعض الرؤساء زراعة فأرسل من يقوم بها ثم بعث يسأل عنهم

جاء الخبر بموتهم اجمعين ، فأرسل عوضهم فمات أكثرهم هكذا مرات في عدة مرات

وأعجب من جميع ما اقتصصناه أن الناس مع ترادف هذه الآيات عاكفون على أصنام شهواتهم لا يراعون منمسون في بحر ضلالتهم كأنهم هو المستثنون فمن ذلك اتخاذهم بيع الأحرار متجراً ومكتسباً ومنه عهارهم بهؤلاء النسوة حتى أن منهم من يزعم أنه اقتضى خمسين بكاراً ومنهم من يقول سبعين

وسمنا من الثقات عن الاسكندرية أن الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركة واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثاً . الخ «



رسم مجرى النيل حسب خريطة بطليموس المحفوظة بدير جبل أوتوس منقول من كتاب عنوانه (The Nile question) وضع السر (Hurry Johstone)

البحر الأبيض المتوسط



خريطة
 مملكة التتار في سنة
 ١٠٠٠ هـ
 خريطة الموضع المسمى
 عورة البهرو والفرقة

مصبات النيل : حسب عقيدة القدماء

لأحصاء هذه الجداول خطأ غير مقصود وان تناوله الناقلون خلفاً عن سلف منذ العصور الأولى . وخلاصة القول ان مصبات النيل (أى جداوله) سبع . وممن سرى الى رواياتهم الخطأ فى احصائها الفيلسوف الشهير سنيك وقد قال المؤرخون القدماء أن مصبات النيل سبع ويظهر أن مصباته الأصلية اثنان ، وهما الفرعان اللذان ينقسمان تحت مدينة القاهرة ، ومنهما تفرع باقى المصبات فى عهد الفراعنة توصلاً لإرواء المسافات الكبيرة التى كانت محرومة من الرى والزرع ، وباقتضاء العمران توسعوا فى الاستفادة من هذه الفروع ، فتدفقت منها الخيرات على العباد والبلاد ، وشكروا الأيدى العاملة التى قامت بهذه المشروعات النافعة . والمصبان الطيبعيان المذكوران هما الكانوبى (Canopique) فى الجهة الغربية والبلوزى (Pelissiane) فى الجهة الشرقية وقال هيردوت (فى كتابه الثانى الفصل ١٧ فى القرن الرابع ق م) إن مصبات النيل من الجهة الشرقية الى الجهة الغربية من جهة البحر خمس وهى : البلوزى (Pelusiane) والصعيدى (Saitique) والمنديزى (Mendésique) والسبنيقي (Sebennyitique) والكانوبى (Canopique)

وقال سترابون (فى كتابه ١٧ الفصل الأول فى القرن الأول ق م) أن مصبات النيل من الشرق الى الغرب سبع وهى : البليزى والتانيقي (Tanitique) والمنديزى (Mendésique) والفاتينيقي (Phatnitiique) والسبنيقي (Sebennyitique) والبليتي (Bolbitique) والكانوبى

وقال ابن الحكم من علماء القرن الثالث للهجرة ان مصبات النيل سبع ، ولم يتفق مع العلماء الا فى العدد فقط وهى : (١) بنها (٢) القيوم (٣) ممفيس (٤) سردوس (٥) دمياط (٦) سخا (٧) اسكندرية

مقاييس النيل

في عهد الفراعنة

أوجد الفراعنة مقاييس نظامية في كثير من المناطق للرجوع إليها في موازنة المياه وتوزيعها بين الأقاليم توزيعاً ثابتاً يفي بحالتها الطبيعية، وبنوا هذه المقاييس على نسبة اختبارية في فصول السنة كلها، لتكون هذه المقاييس ميزاناً صحيحاً حتى إذا طرأت بعض العوارض في منطقة امكنهم حصر ميزانيات الماء فيها، فلا يحدث من انحدارها القهري اخلال بالنظام يؤدي المناطق المجاورة، وهذه الاختبارات تدل على حذق وفطنة

قال سترابون (في كتابه بالفصل ١٧ العدد ١) كان لدى قدماء المصريين مفتشون فينون يجيئون الناس والحكام عن كل الملاحظات التي تطلب منهم بتواريخ بدء الفيضان ونسبته، لأن لديهم علامات ثابتة (أى المقاييس) يرجعون إليها في معرفة ذلك قبل أوان الفيضان، وانه يوجد بمدينة بيلاق مقياس يشبه مقياس مدينة ممفيس. والمقياس المبني من الحجر على شاطئ النيل هو عبارة عن بئر تتوازن فيه درجة المياه ارتفاعاً وانخفاضاً على مقدار مياه النهر. وقد نقشوا في جوانب البئر أشارات تدل على درجات الفيضان في كل عام. وقد أيدت الاكتشافات الأخيرة رأى هذا المؤرخ. وعثر علماء البعثة المصرية على مقياس مدينة بيلاق وزاره جو مار قبل ترميمه وقال في وصفه ما يأتى: يتألف هذا المقياس من سطح مربع ومنه ينزل بسلم الى ٨٥ درجة وينقسم سطحه الى ثلاثة أجزاء وفيه باب يفتح الى النيل لا يمكن النظر اليه الا وقت انخفاض المياه، وجدرانه المتطرفة مبنية بقطع افقية من الحجر

الجرانيت وقد صالت يد القدم على النقوش الهيروغليفية ولم يبق من الآثار اليونانية فيه الا النذر القليل

قال هليودوركان في مدينة سمين مقياس للنيل دقيق في الصنع والمزية الفنية في أوائل استعمارهم لمصر، فأقاموا فيها المعاقل والحصون لتحفظ الحدود الملاصقة لبلاد الحبش، والى هذا يرجع رأى من قال ان مقياس مدينة سمين هو المقياس الذى كان في مدينة ييلاق لأن موقعيهما متقاربان جداً ويسرى الى الظن الخطأ في الرواية أو نسبة كل مدينة منهما الى اشتغالها على مقياس خاص لها ويوجد بين الآثار المحفوظة في المتحف البريطانى نصوص هيروغليفية تثبت أن الملك سنوسرت الثالث صنع في السنة الثامنة من حكمه بعض اصلاحات في مقياس ييلاق خلاصتها : « في السنة الثامنة من الشهر الثالث من فصل الفيضان في عهد ملك الوجهين البحرى والقبلى سنوسرت الثالث المحبوب من سائيت (معبوده مدينة ييلاق) الخالد الذكر قد أمر وزيره امنى بعمل باب من مباني مقياس ييلاق الخ ٠٠)

وقد ذكر مقياس النيل في كتاب الموتى يقول الميت « أيتها الدار كراو التى يقابلها النيل فى أعلا تاتو حيث يقاس النيل فى مره ، ويقول الميت أيضاً (فى الفصل ١١٠ من كتاب الموتى) « قد وصلت الى أقليم كبير وقت الفيضان » ويتضح من هذه النصوص الدينية أن الميت يقصد مقياس النيل ويعد نفسه سعيداً لكونه قاس الفيضان الذى يجعل مصر مخصبة بمحض الهبة الالهية

ونشر بروكش باشا نقوشاً يرجع تاريخها الى عصر البطالسة خاصة بمقياس النيل الكائن فى مدينة ييلاق ونصها « متى خرج النيل فى وقته من منبعك يكون ارتفاعك فى ييلاق ٢٤ ذراعاً) ووجد العالم جورج داريسى فى مدينة هابو مقياساً للنيل كمقياس ييلاق ومثقوشاً فيه اسم تفتانيبو الأول

أخذ ملوك الأسرة التاسعة والعشرين ، ولم توجد معلومات يستنتج منها درجات الفيضان في هذا المكان
وقد أندرست بمرور الزمن مقاييس أخرى كانت في مناطق عديدة
بل كان يقرب كل معبد في مدينة على النيل مقياس خاص بها يستفيد به اهل
الجهات في معرفة درجات الفيضان في أوائله ونهايته
وقد قال ديودور الصقلي أن مدينة ممفيس كان بها مقياس شهير وأثبت
بشأنه العبارة الآتية :

لما كانت مسألة الفيضان الشغل الشاغل عند الملوك المصريين اعتنوا
في بناء مقاييس له ، ومن جعلتها مقياس مدينة ممفيس ، وبواسطته كانوا
يعرفون درجات الفيضان بالضبط » وقال سترابون أن مقياس النيل الذي
في مدينة بيلاق بنى على نسق مقياس مدينة ممفيس
وقال بروكش باشا العالم الأثرى إنه كان في مدينة ديو پوليس مقياس
خاص بها وكان الفيضان يصل في مدينة بيلاق الى ٢٨ ذراعاً . وكان مستوى
الفيضان سبعة أذرع في مدينة ديوسبوليس . ووصف المؤرخ بلين آباراً وجد
فيها درجات مقسمة خاصة بمقاييس النيل بطريقة مختصرة لأهل البلاد
الموجودة بها

وقد عثر سنة ١٨٩٤ على جدار أثرى منقوش فيه احتفال بفيضان النيل
بالعبارة الآتية ترجمتها « في السنة ١٠ في الشهر الثاني من فصل الصيف جاء
النيل ذاكراً . واكتشف المسيو جورج لجران نقوشاً على رصيف الكرنك تبين
الجهات التي ابتداءً فيها الفيضان من السنة السادسة من حكم الملك ششنق
الأول الى السنة ١٩ من عهد الملك بسامتيك وقال سترابون الجغرافي اليوناني
أنه رأى نقوشاً تثبت تعيين مفتشين فنيين كانوا يراقبون زيادة النيل وتقصرانه

في المقاييس وربما كان هؤلاء الأشخاص هم الكتبة المذكورون في شاهد حجري محفوظ بمتحف ليد يرجع تاريخه الى الأسرة ١٢ ومنقوش عليه هذا اللقب باللغة المصرية القديمة « الكاتب المنوط بمقياس الفيضان الخ ... »

ذكر مقاييس النيل وزيادته

في عهد العرب

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عم وضع مقياساً بمنف ، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زباً وهي صاحبة حائط العجوز مقياساً بأنصنا وهو صغير الذرع ومقياساً بإخميم . ووضع عبد العزيز بن مروان مقياساً بجلوان وهو صغير ، ووضع أسامة بن زيد التتوخي في خلافة الوليد مقياساً بالجزيرة وهو أكبرها . قال يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط

وقال القضاعي كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عم وبني مقياساً بمنف وهو أول مقياس صنعه عم ، وقيل ان النيل كان يقاس بارض علوة الى أن بنى مقياس منف ، وان القبط كانت تقيس عليه الى أن بطل . ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياساً بأنصنا وهو صغير الذراع ، ومقياساً آخر بإخميم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر ، وقيل إنهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاصة ، فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الاكسية ومعاله هناك الى أن ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر أبنيتهم الباقية الآن ، وكان للروم أيضاً مقياس بالقصر خلف الباب يمنة في مدخله في داخل الزقاق أثره قائم الى اليوم وقد بنى عليه وحوله ثم بنى عمرو بن العاص عند

فتحه مصر مقياساً بأسوان ثم بنى بموضع يقال له دندرة ثم بُنى فى أيام معاوية مقياس بأنصنا فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياساً بحلوان وكانت منزله ، وكان هذا المقياس صغير الذراع ، فأما المقياس القديم الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامة بن زيد ، وقيل إنه كسر فيه ألفى أوقية وهو الذى بنى بيت المال بمصر ، ثم كتب أسامة ابن زيد التنوخى عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك بيطلانه ، فكتب اليه سليمان بأن يبني مقياساً فى الجزيرة فبناه فى سنة سبع وتسعين ، ثم بنى المتوكل فيها مقياساً فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الله التركى على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد ، وأمر بأن يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله على المقياس أبا الرّداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن الرّداد المؤذّن كان يقول العمى أصله من البصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل ، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنائير فى كل شهر ، فلم يزل القياس من ذلك الوقت فى يد أبى الرّداد وولده الى اليوم وثوفى أبو الرّداد سنة ست وستين ومائتين ، ثم ركب احمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه ابو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضى فنظر الى المقياس وأمر باصلاحه وقدر له الف دينار فعمّر وبني الخازن فى الصناعة مقياساً وأثره باق لا يُتمد عليه

وقال يزيد بن ابى حبيب ان موسى عمّ دعا على آل فرعون فخبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء ، فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك فى ليلة الصليب ، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الساعة ستة عشر ذراعاً ، فاستجاب الله لعمر بن الخطاب كما استجاب لبنيه موسى عم

قال القضاعىّ ووجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد ابن عبد المنعم ، قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقي أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلاً عن تقاصره ، وأن فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار ويدعو الاحتكار الى تصاعد الأسعار لغير قحط ، فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال ، فأجابه انى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشرة ذراعاً ، والحد الذى يروى منه سائرهما حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعاً ، والنهائيتان المخوفتان في الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنتا عشرة ذراعاً في النقصان ، وثمانى عشرة ذراعاً في الزيادة ، هذا والبلد في ذلك الوقت محفور الأنهار معقود الجسور عند ما تساموه من القبط وخميرة العمارة فيه ، فاستشار عمر أمير المؤمنين عليّاً رضى الله عنه في ذلك ، فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياساً ، وان ينقص ذراعين على اثنتى عشرة ذراعاً وأن يقرّ ما بعدها على الأصل ، وان ينقص في كل ذراع بعد الست عشرة ذراعاً أصبعين ففعل ذلك وبناه بجلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الأرجاف وزوال ما منه كان يخاف بأن جعل الاثنتى عشرة ذراعاً أربع عشرة ، لأن كل ذراع أربع وعشرون أصبعاً فجعلها ثمانية وعشرين من أولها الى الاثنتى عشرة ذراعاً يكون مبلغ الزيادة على الاثنتى عشرة ثمانية وأربعين إصبعاً ، وهى الذراعان وجعل الأربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين .

قال القضاعىّ وفي هذا الباب نظر في وقتنا لزيادة فساد الأنهار وانتفاض الأحوال . وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربعة وعشرون أصبعاً كل ذراع ، والمقاييس الاسلامية على ما ذكر منها

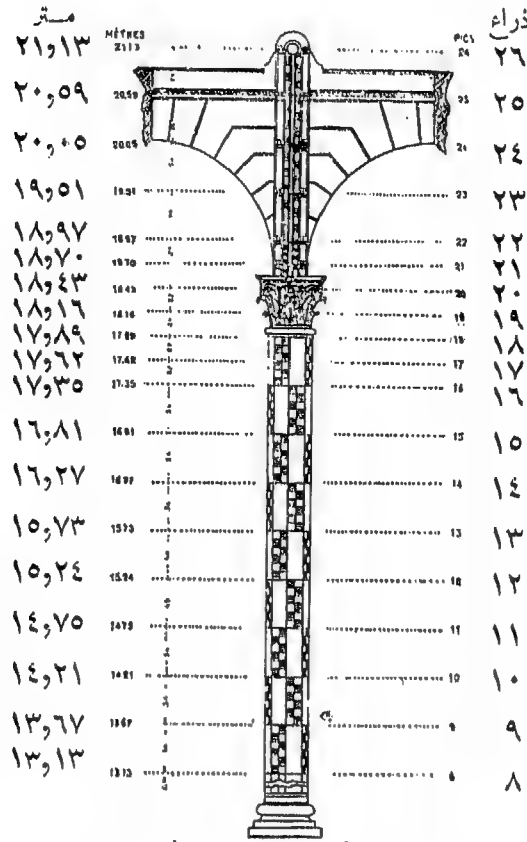
المقياس الذى بناه أسامة بن زيد التنوخى بالجزيرة وهو الذى هدمه الماء وبنى المأمون آخر بأسفل الأرض بالبشرودات ، وبنى المتوكل آخر بالجزيرة وهو الذى يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره

قال بن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء فى اثنى عشر يوماً فى مسرى اثنتى عشرة ذراعاً فهى سنة ماء وإلا فالماء ناقص واذا تم ست عشرة ذراعاً قبل النوروز فالماء يتم فاعلم ذلك

وقال أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يُعرف بجبل القمر فانه يبتدىء بالتزيد فى شهر أيب ، والمصريون يقولون إذا دخل أيب كان للماء ديب وعند ابتدائه فى التزيد يتغير جميع كفياته ويفسد ، والسبب فى ذلك مروره بنقائع مياه آجنة فيجتلبها معه الى غير ذلك مما يحتمله ، فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعاً وزادت السادسة عشر أصبعاً واحداً كسر الخليج وكسره يوم محدود ومقام مشهود ومجتمع غاص يحضره العام والخاص . فاذا كسر فتحت الترغ وهى فوهات الخلابان ، ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى أعلى مساكنهم من الضياع والمنازل وهى على آكام ورُبى لا ينتهى الماء اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بجرأ غامر الماء بين جبلها ريثما يبلغ الحد المحدود فى مشيئة الله عز وجل له ، وأكثر ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعاً ثم يأخذ عائداً فى صبه الى مجرى النيل ومسربه فينفضب أولاً كأن من الأرض عالياً ويصير فيما كان منها متطأً منا فيترك كل قرارة كالدرهم ويغادر كل تلة كالبرد المسهم

وقال القاضى أبو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتاب الأحكام السلطانية وأما الذراع السوداء فهى أطول من ذراع الدور باصبع وثمانى أصبع وأول من

وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم أسود كان على رأسه قائماً وهي التي تتعامل الناس بها في ذراع البنّ والتجارة والأبنية وقياس النيل بمصر والمقياس عمود رخام أبيض مشتمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسمًا متساوية تعرف بالأصابع ما عدا الاثنى عشر ذراعاً الأولى فانها مفصلة على ثمانية وعشرين أصبعاً كل ذراع .



Colonne du Mélini, d'après le livre de KASSIN, des, The Nile Gauge at Roda.

رسم عمود المقياس مأخوذ من كتاب عنوانه (The Nile Gauge at Roda)
وضع قاسم بك

« المقياس بناء على تحقیقات مهندسی العصر الحالی »

إن مقياس الروضة هو عبارة عن عمود من الحجر مقسم الى أذرع وقراريط موضوع بوسط بئر مربعة من البناء طول ضلعها نحو الأربعة أمتار، وهو مقام بالنهاية الجنوبية لجزيرة الروضة تجاه مصر القديمة .

أما بناء هذا المقياس فكان في سنة ٨٦١م كما قرره المستر ولكوكس في كتابه « الرى المصرى » ، وقد وضع الفرنسيون حين دخولهم لهذه البلاد في سنة ١٧٩٨ واحتلالهم اياها سنتي ١٧٩٩ و ١٨٠٠ وخرجهم منها في سنة ١٨٠١ تاجاً مزخرفاً فوق عمود المقياس محفور عليه (La République Française) (أى الجمهورية الفرنسية — السنة التاسعة من تأسيس الجمهورية) ، ولكن بعد مبارحة الفرنسيين قد أسقط هذا التاج في البئر ووضع بدله قاويس من خشب القرو الثقيل فوق العمود ثبت من طرفيه بحائطى البئر . هذا ويظهر من فحص وضع القاويس المذكور بالنسبة لقمة عمود المقياس أن هذا العمود لا بد وأن يكون هبط بمقدار ١٩,٠ في خلال القرن الماضى

ومما يشاهد في هذا المقياس أن التقاسيم المنقوشة على عموده ليست ظاهرة جلياً . أما مقادير الأذرع فهى واحدة بطول العمود كله انما الأرصاد اليومية تجرى لحد الذراع الثانية عشرة فقط على العمود وما تجاوز ذلك يرصد على تقاسيم أخرى على مدرج من الحجر بداخل البئر وليس ارتفاع درج هذا المدرج مقسماً تقسيماً متساوياً بل أن الأذرع التى تحت ١٦ ذراعاً تساوى الواحدة منها ٥,٠ من المتر تقريباً والى بين ١٦ ذراعاً و ٢٢ ذراعاً تساوى الواحدة منها ٠,٢٧ من المتر تقريباً . أو نصف ذراع ثم ما فوق ٢٢ ذراعاً فطول الذراع الواحدة ٥,٤ من المتر

وقد أوضح المغفور له الكولونيل روس سبب هذا التقسيم حيث قال :
إنه حينما بنى المقياس بالروضة كان المعتاد فتح جميع ترع الري عند بلوغ
تسوية مياه النيل ١٦ ذراعاً بهذا القياس ، وكان يعقب فتح الترع ضرورة
تحويل جانب عظيم من مياه النهر لها . ولهذا السبب كان يقدر أن زيادة
ذراع واحدة بأسوان يقابلها نصف ذراع فقط بالروضة وكان يستمر على هذا
التقدير حتى تبلغ الزيادة بالروضة ٢٢ ذراعاً أى لحد تمام ملء الحيضان وسد
أفام الترع . وبعد ذلك كان يقدر أن كل زيادة تحدث بأسوان كانت تأتى
بتامها لمقياس الروضة ولهذا كانت ارساد المقياس بالأذرع الكاملة بعد تجاوز
تسوية مياه النيل ٢٢ ذراعاً

أما فى أيامنا هذه فنظراً لكون مياه النيل لا تمر بترع الحياض بمقدار
كاف الا عند بلوغ تسويتها بمقياس الروضة ١٩ ذراعاً فلا فائدة من اختلاف
أطوال الأذرع بل ربما أوجب الالتباس

ومما يحسن إirاده هنا أن لا فائدة من دلالات مقياس الروضة فى فصلى
الشتاء والصيف لأن الرد الناتج من الحجز على القناطر الخيرية اثناء هذين
الفصلين تجعلها غير دالة على حالة مياه النيل بالتمام^(١)

هذا وفى سنة ١٨٨٦ م قد وضع السير وليم جارستن لما كان مفتشاً لرى
القسم الأول مقياساً آخر مقسماً بالأمطار داخل بئر المقياس الأسمى وجاء
رصده يومياً من ذاك الحين مع المقياس الأسمى

ومما عساه يكون فيه فائدة للعموم العلم بأنه لم تعمل مباحث لحد الآن
للعلم بالنهاية السفلى لتقاسيم المقياس وإنما قد ربطت بواسطة الميزانية هذه
التقاسيم بسطح البحر المالح الأبيض المتوسط فوجد أن منسوب ٦ أذرع

(١) ابتداء الحجز على القناطر الخيرية كان من سنة ١٨٨٤

هو ١٢,٠٥٢٥ فوق سطحه . هذا وكان فى عزم السير ولیم جارستن عند ما وضع المقياس المترى أن يزيل القاويس الموضوع فوق عمود المقياس الذراعى ويرد التاج الذى كان صنعه الفرنسيون الى محله الأصلى
ورسم مقياس الروضة صفحة ٨٧ ينبئنا بما كان عليه من يوم انشائه الى الآن وعلى الزيادة التى استلزم الحال وضعها فوق عمود المقياس مقسمة على مثال تقسيمه الأصلى وعليها التقسيم المترى الحديث المنوه عنه بهذا

الضرائب المصرية القديمة

وجد منقوشاً على معبد ادفو ديباجة كأنها عن لسان النيل تقدم أقاليم مصر الى المعبود حورس الكبير إله أدفو بما معناه : « جئت اليك أيها المعبود العظيم استعرض تحت بركاتك جميع الأشياء والمحاصيل والمباني والمعاهد ، وخدمة الأماكن المقدسة القائمين بواجباتهم الدينية ، معربين بمظاهر أفراحهم المتنوعة واعيادهم المستديمة ، اعترافاً بأن النيل الذى يستمد فيضيه من المعبود المحترم اذى واجبه فى إرواء الأرض وانتاج النبات ، فهو وكل ما يستفيد بمنافعه تجود به الأرض على الزراع أثر من بركات هباتك ، فنقبل هداياه لأن فيض النيل هو المساعد على استبقاء الحياة للأجسام ، وبواسطته يستطيع العباد تقديم هداياهم وقرباناتهم الى الآلهة ، ويتوالى فيضه تنضاعف عنايتهم باقامة الأفراح وتأدية الشعائر المألوفة ، شكراً لهذه النعم ، وبقبولك هديته تنبت فى الشعب الشجاعة والحركة الطيبة . فاليك نضرع فى هذا الاحتفال وبك نتمنى دوام الفيض بالبركات » . ومن هذا المأخذ يتضح أن رخاء البلاد لا يكون إلا بتوفر المياه وموازنتها هى الأساس الأول فى ترتيب المنافع واقتسامها بين الشعوب ،

وتقدير المكافأة من الشعب الخاضع للهيئة الحاكمة المسيطرة بالنظمات على النيل والتجارة وتعليم الشعب والدفاع عن البلاد. ومن هذا أيضاً ارشدنا التاريخ الى أن الضرائب تفرض على الأراضى الزراعية بنسبة درجتها فى الخصوبة ووفرة المحاصيل ، لأن بالضرائب تستطيع الحكومات تنظيم الشؤون العامة جهد استطاعتها وتبذل عنايتها فى ترقية الأحوال باقتضاء العصور وتطورات الأدوار العمرانية

وقد كان التعامل فى السابق جارياً عن تبادل العروض التجارية، والمحاصيل بنسبة اصطلاحية ، ألفوا قبولها فيما بينهم باعتبار أن الأردب القمح يعادل كذا من الأقمشة ، ويعادل كذا من باقى الملعومات وأدوات المباني ونحوها فكان الفلاح يدفع للصيارف مقادير من المحاصيل على نسبة زراعته ، وصاحب الأغنام يؤدى عدداً منها بنسبة عدد أغنامه وهكذا .

وكان بعض الملوك يحمل علاوة على تقدير الضرائب بأنواعها بالأسلوب السالف ذكره قيام بعض القرى والمدائن بتموين طوائف من المستخدمين الذين يكلفون بتنفيذ نظمات الري ، والحفاظة على الترع والجسور ، وتطهير الجداول ومواساة الذين يؤسرون فى الحروب بما يحتاجونه من الطعام الى أن يتوفر لديهم من كسب أيديهم ما يكفى باحتياجاتهم

والقرى التى كانت لاتستطيع النفقات لاولئك الموظفين ، كانوا يكلفون أفراداً منها بما يناسب أحوالهم من هذه الأعمال . وجاء فى التوراة أن فرعون كان يسخر قبائل بنى اسرائيل فى هذه الشؤون

وكان عدد المكلفين لتحصيل الخراج كثيراً جداً . والقصد من كثرتهم تسهيل الحصول على ما يمكن فى أيدي المزارعين ليسهل على المحصيلين توريد ما جمعه الى الأما كن الحكومية التابعة لها مناطقهم بايسر مستطاع ،

باعتبار أن الكميات التي تجبى يجب عرضها للمعاملات التجارية ، حتى لا تزدحم بها المخازن الحكومية ، ويترتب على تراكمها تعرض البعض منها الى التلف ، أو أن يؤدي ذلك الى شبه احتكار في المطعومات ونحوها ، فكانت وجهة الملوک في هذا الوقت سعة الرأفة بالطبقات الفقيرة ، وأن من صالح هذه الطبقات تسهيل السبيل أمامها في موارد الارتزاق وأوجه الكسب

وكان عمال الخراج يدعون باللغة المصرية القديمة (ونو) وفي عهد الدولة الحديثة (سنو) وبالقبطية (سون) أى جابى خراج المزارعين وكان تقدير الخراج بعد مقياس النيل ويتم تحصيله قبل تمام الفيضان ، اذ كانوا بحلوله يمتنعون عن تحصيل الضرائب وكانت أعمال الجباية وتحديد مقادير الضرائب غاية في الدقة ، ولهذا يلتجئ الجباة الى استعمال وسائل للاخضاع في دفع ما عليهم . وكان بعض المزارعين يتذمر من الضرائب كلما تجدد ربطها عاماً بعد آخر ، لأنه يظن نفسه مغبوناً في التقدير بادیء بدء . وعند ما يتأكد أن التقدير جاء طبق ما وصلت إليه التجديدات الفنية بعد مقياس النيل يذعن للأداء . وقد جاء في بعض الأوراق البردية مثل ورقة أنسطاسى وسالير أن بعض محصلى الأموال كانوا اذا أعياهم الأمر لجأوا الى ضرب الأشخاص بالعصى أو تفطيسهم في الماء الى أن يدفع الماطل ما يكون متأخراً عليه

وكان تحت أيدي هؤلاء الكتبة المكلفين بجبايات الضرائب وتحصيلها مستخدمون كثيرون بألقاب متنوعة . فمنهم من يلقب المكلف بمون الفم ومنهم من يلقب برؤساء الشون أو المخازن . وفي التوراة ما يؤيد ذلك لاسيما في قصة سيدنا يوسف عليه السلام .

وكان المعبود خراج آخر فوق خراج الحكومة علاوة ما كانوا يخصصونه من الغنائم والأسلاب الحربية ، وهذا خلاف الهدايا التي كان يقدمها الشعب

لخدمة المعابد . وكان الكاهن يلقب عندهم رئيس شؤن امون ووكيل خزانته
وكان الشعب المصرى يدفع العشر للمعبود . ومن المؤرخين من كان
يظن أن أداء هذا العشر من مخترعات الشعب الاسرائيلى ولكن اتضح أنه
كان موجوداً فى مصر من الزمن القديم

وقد اكتشف حديثاً شاهد للملك نقتانيبو الثانى ووجد منقوشاً فيه
أن الملك بسبب انتصاره على غريمه فى جهات الدلتا وهب لوالدته المعبودة
نيت رفع عوائد المكوس التى كانت تدخل خزانته من هذه البلاد

وكان من عاداتهم اذا جاء الفيضان ناقصاً ان يخفض من قيمة الخراج
مقدار يعادل نقص الفيضان ، ويؤيد ذلك ما وجد فى بعض النقوش لأمونى
أمير الأقليم (مسح) فى عهد الملك سنوسرت بما معناه : « لما كان النيل مرتفعاً
والمحاصيل جيدة لدرجة ساعدت فى ثروة المزارعين ، لم أفرض عليهم ضرائب
جديدة ليكونوا على الدوام فى فرح وشكر » . وهذه الجملة تثبت أنه عند نقص
الفيضان يراعى تخفيض الضرائب بقدر هذا النقص ولا يجوز تقرير ضرائب
جديدة .

ووجدت فى نقوش أخرى لأمرأ أسيوط فى عهد الملك خيتى الأول
عبارات عن تاريخه بالمعنى الآتى : يفتخر الملك خيتى الأول بأنه أغنى المزارع
وساعده على الرفاهية حتى جعله يقنات بانقمح بدلاً من الذرة الذى كان القوت
الغالب لعموم المزارعين فى تلك الأدوار

وكانت طريقة الجباية مرتبة على أشهر المحاصيل ، لأن الخراج كان يؤخذ
من أجودها ووجد فى بعض النقوش على قبر أمتن الذى كان معاصراً لأحد
ملوك الأسرة ٦ ما يؤيد هذه القاعدة وسريان العمل بها الى عصر الأسرة ٢٤
وفى عصر البطالسة والرومان كان الملك يشرف على لجان تقرير الخراج

التي تؤلف في كل ولاية لتقدير قيمة الأراضى ومحصولاتها ، ووضع الخراج لها بدرجة تطابق حالتها . ويقصد الملوك بهذا الاشراف منع التحيز والمجاملة من أعضاء اللجان لوجهاء الاقاليم في التقدير ورفع الحيف عن الفقراء فيما يقدر عليهم

وقد عثر سابقاً على رسوم نحاسية بها نقوش مضمونها أن فيضان النيل في السنين ١٣١ و١٤٤ و١٥٣ كان حسناً جداً

« المكوس المصرية القديمة على المراكب »

من المكوس التي كانت مفروضة قديماً في الديار المصرية ضرائب على الملاحة فيفرض على السفن عند مرورها في مناطق معينة اداء مقدار معين على نسبة ما تحمله كل سفينة عند اجتيازها الممر المقرر له الرسم



مركب شراعية مصرية قديمة والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة العليا بالقاعة D

ويوجد في متحف اللوفر قطع حجرية منقوش بها بيان بنقطة محدودة في مدينة سيين تؤدي المراكب عندها رسوماً مقررة قبل اجتيازها القنطرة ، فكانت القناطر تقفل في ممر الأنهر والترع ، ولا يصرح لها بعبورها إلا بعد أداء الضرائب ومنحها تصريحات المرور

وكانت مدينة بيلاق مرسى لأساطيل النيل . وتوجد أيضاً قطع حجرية أخرى محفوظة بمتحف اللوفر تحت رقم ٢٦ فيها نقوش صريحة بأن المراكب تدفع قبل مرورها مقداراً من الفضة أو المواشى أو الأشياء المصنوعة أو حبوباً أو ما يفي بمؤونة العمال في تلك القنطرة مدة ٢٩ يوماً

« أموال خراج أراضى مصر في عهد العرب »

ذكر أخبار أموال خراج أراضى مصر وذلك على سبيل الاختصار . قال ابن عبد الحكيم ان أموال الديار المصرية في رمتنا هذا تنقسم على قسمين أحدهما يقال له خراجى ، والآخر يقال له هلالى . فالمال الخراجى ما يؤخذ من الأراضى التى تزرع حبوباً أو نخلاً أو ما تزرع من أصناف الزراعات أو غير ذلك فهذا يسمى خراجياً ، وأما المال الذى يسمى هلالى فقد أحدثه جماعة من ولاية السوشيا بعد شىء حتى وصل ذلك فى الاسلام . فكان أول من أحدث الأموال التى هى من وجوه المظالم بمصر أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى أمر خراج مصر بعد سنة خمسين ومايتين ، فانه كان من دهاة الناس ومن شياطين الانس ، فابتدع فى مصر بدعاً كثيرة فصارت مستمرة من بعده الى الآن ، فحجر على النطرون وكان مباحاً ، وقرر على السكلا الذى ترعاه البهائم مالاً وسماء المراعى ، وقرر على الأسماك التى تصاد من البحر مالاً وسماء المصايد وكانت مباحاً من عند الله للصيادين . وأحدث من أبواب هذه المظالم أشياء

كثيرة فانقسم مال مصر من يومئذ الى خراجى وهلالى ، فلما ولى الأمير أحمد بن طولون أبطل هذه المظالم التى أحدثها أحمد بن محمد بن مدبر وكتب بأسقاطها فى جميع أعمال الديار المصرية . وكانت نحو من مائة الف دينار فى كل سنة . فلما كانت الدولة التى يقال لها الفاطمية أعادوا جميع ما أبطله الأمير أحمد بن طولون من المظالم والمكوس . فلما ولى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أمر بأسقاط تلك المكوس من أعمال الديار المصرية كلها ، وكتب بذلك مرسوماً بخط القاضى الفاضل ، فلما ولى ابنه الملك العزيز عثمان أعاد تلك المكوس التى أبطلها أبوه صلاح الدين . فلما ابتدأت دولة الأتراك وولى الملك المعزاييك التركمانى وانقرضت دولة بنى أيوب جدد عدة مكوسات وضمانات ، وأخذ أموال التجار . فلما ولى الملك المظفر قطز جدد عدة مظالم عند خروجه الى هلاكه ، وصادر الناس وأخذ على الأملاك والأراضى والنخيل والروس من ذكر وأنثى ، وأحدث من هذه الأنواع أشياء كثيرة من أبواب المظالم ، حتى بلغت هذه المصادر نحو ستمائة الف دينار . فلما ولى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، أبطل جميع ما كان أحدثه المظفر قطز من أبواب المظالم كما تقدم ذكر ذلك ، فلما ولى الظاهر برقوق أبطل من المظالم أشياء كثيرة ، مما كان يؤخذ على القمح والشعير والفول ، وما كان يؤخذ على الدبس والحلفا بباب النصر ، وأبطل الأبقار التى كانت ترمى على الناس بالوجه البحرى عند فراغ الجسور ، وأبطل من هذا النمط شيئاً كثيراً . فلما ولى الملك الناصر فرج بن برقوق زاد فى الظلم وتجديد المكوس بواسطة جمال الدين يوسف الاستادار . وهو الذى جدد المكوس على بيع السمك البورى فغلا سعره بالقاهرة وقل وجوده

« خراج مصر في الاسلام »

قال ابن وصيف شاه : جبي خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص لما فتحها مكانة اثني عشر ألف ألف دينار . ثم جبي عبد الله بن أبي سراح في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار ، فقال الامام عثمان لعمر بن العاص يا أبا عبد الله درت اللقحة بعدك فقال له عمرو بن العاص نعم درت ولكن أجاعت أولادها . وهذا الذي جباه عبد الله بن أبي السراح ، انما أخذه على الجماجم والروس خاصة دون الخراج ثم من بعد ذلك انحط خراج مصر حتى جباها أسامة بن زيد عامل مصر في خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي اثني عشر ألف ألف دينار . فلما ولي الأمير احمد بن طولون على مصر وجدها خراباً ، وقد انحط خراجها حتى بقي ثمانماية ألف دينار ، فلا زال يجهد في عمارتها واصلاح جسورها وقناطرها حتى بلغ خراج مصر في أيامه أربعة ألف ألف دينار ، وثلاثماية الف دينار وجباها ابنه خماورية الف الف دينار مع وجود الرخا حتى قيل بيع في أيامه كل عشرة أراذب قمح بدينار فبلغ خراج مصر في أيام الأمير محمد بن طغج الأخشيدى ألف ألف دينار ، فلما قلد جوهر القائد من الغرب في أيام الخليفة المعز الفاطمى جبا خراج مصر في أيام الفاطميين الف الف ومايتى الف دينار ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلثماية وجباها في أيام الحاكم بأمر الله ثلاثة آلاف الف دينار وأربعمائة الف دينار وذلك في سنة ستين وثلثماية . قال المسعودى آخر ما اعتبر في أحوال أراضى مصر فوجد حرثها ستون يوماً ومساحة أرضها مائة الف الف وثمانون الف فدان وأنه لا يتم خراجها حتى يكون فيها أربعمائة الف وثمانون ألف حرث يلزمون العمل دائماً ، فاذا أقيم بها ما ذكرنا تمت عمارتها وكل

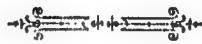
خراجها ، وآخر ما كان بها مائة الف وعشرون الف مزارع فكان بها في الصعيد الأعلى سبعون الفا من مزارعين ، وفي أسفل الأرض خمسون الفا من مزارعين وقد تغيرت أرض مصر الآن تغيراً فاحشاً في جميع ما كان بها من الأحوال القديمة واختلت اختلالاً فاضحاً فلذلك قلّ خراجها وضعف حال جندها

رأى العلماء في بحيرة مريس

لما كان يتوقعه أُمَمِجَعَتُ الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة من المضار التي يحدثها طغيان الفيضان ، أوترتب على نقصان الفيضان عن مناسبيه ، أتم مشروعاً عظيماً وذلك بانه رأى غربي مصر واحة أراضيها زراعية (بالقلم الفيوم) ممتدة في الصحراء ، وتتصل ببرزخ في ناحية يرويها النيل ، وفي وسط هذه الواحة يمتد سهل فسيح فيه أرض واسعة منخفضة ، تمثل وادياً فيه بحيرة طبيعية (المروفة الآن ببخيرة قارون) وطولها أكثر من ثلاثين ميلاً ، فنفذ مشروعه الجليل بإنشاء بحيرة تتصل الى هذا الفضاء ، ومساحتها تضاهي (١٠٠٠٠٠٠٠) متراً مربعاً لتدخر فيها المياه ، فيستفيد منها الأقليم اذا جاء النيل شحيحاً ، والجانب الأيسر لها يمتد الى البحر الأبيض المتوسط ، فينحدر الى هذه البحيرة كل ما يزيد عن الحاجة في زمن الفيضان . وما تضيق به هذه المساحة ينصرف الى بركة قارون بواسطة ترعة أعدت لذلك

فاشتهرت هذه البحيرة وأجلّ مشروعاتها عظماء الرجال المهندسين وتدعى الآن بحيرة مريس . وكلمة مريس معناها باللغة المصرية القديمة بحيرة . ولما رأى هيردوت هذه البحيرة أطنب في وصفها وبالفوائد الجمة الناتجة عنها ، وقال إنها كانت تبعد عن النيل مسافة سبعة أيام وكان عمقها خمسين باعاً .

واقترض علماء الآثار نظريات كثيرة عنها . وقال المهندس لينان الذى كان من رجال الرى المعدودين فى عصر الخديوى اسمعيل باشا إن بحيرة مريس هى شرق إقليم سلسلة جبال ليبيا فى جهة بحيج وبهبجور ذات التلول الممتدة قبلى حوض الفرق ، وقد وافق ليدسييس العالم الأثرى الالمانى على هذا الرأى ولكن العالم ماسبرولم يؤيده ، وأيدت مذهبه فيها ابحات مصلحة الرى الحديثة وقال : لا أظن وجوداً لهذه البحيرة . وقد يكون المؤرخ هيردوت لما زار مصر كان مروره بتلك الجهة فى زمن الفيض الذى تكون المياه فيه متدفقة فى حياض البلاد كلها ، ويظنها الناظر بجرأ واحداً وتحيل الحواجز بين حياض البلاد ضفة لبحيرة دائمة ، فكتب عنها ما وسعه ظنه بدون بحث ولا تحرى عن الحقيقة ، ولكن اذا كانت هذه البحيرة احدثت كما وصفها الرواة فانها تكون من أعظم المفاخر للعقول البشرية ومن اكبر الآثار لأعظم الملوك فى عمران البلاد وخصبها والى المباهاة والاعتراف بمزايا هذه البحيرة تكلم كثير من علماء الغرب فى فوائدها وانها بما يترتب عليها من المنافع فى توازن الرى والقيام بارواء البلاد المجاورة عند نقص الفيضان تعد أعظم شأنًا فى الفخر لعظماء الملوك ممن حصروا أعمالهم على تشييد الاهرامات ومحوها ، لأن الاهرامات تدل على عظمة وسطوة فقط ولكن انشاء البحيرات وتمهيد السبل لأصلاحات الرى اكبر فائدة وأحق بالشكران لما يترتب عليها من منفعة بنى الانسان



أعياد النيل

عند قدماء المصريين

عرف من الآثار التي استكشفت أن المصريين كانوا يقيمون للنيل احتفالات تشبه الأعياد، ولم يذكر المؤرخون عنها إلا شيئاً قليلاً، فمن ذلك ما قاله « بلين » المؤرخ الشهير « ان المصريين في عصره كانوا يقدمون الغذاء للتماسيح ويلبسونها بعض الثياب في وقت الفيضان ويلقونها في النيل فتبدو ألوان الثياب الناصعة في منظر بهيج يروق الناظرين

والذي لا شك فيه أن كل الاحتفالات الخاصة بالمرجانات التي تقام لفيضان النيل سنوياً كانت بمنزلة فريضة دينية يحترمها الناس كاحترامهم للنيل وكان رؤساء النيل يقيمون لها الزينات المعتادة للأعياد العامة

وجاء أيضاً ما نصه « يستقبل الشعب المصرى بالفرح والسرور ظهور مياه السلسلة المقدسة فابتهاج النفوس وفرحها بمجىء النيل أمر طبيعي، ويجب أن يعد فيضانه في مقدمة الأعياد التي بحلولها يهنئ المصريون بعضهم بعضاً

وجاء في أنشودة النيل المكتوبة في ورقة النسطاسى البردية ما نصه « أيها الفيضان المبارك قدمت لك القرايين والذبايح، وأقيمت لك الأعياد العظيمة، وذبحت لك الطيور واقتنصت لتحيتك الغزلان من الجبال، واعدت لك النار الطاهرة، وقدم لك البخور والنعم السماوية والمعجول والثيران، فتقبلها هدية شكر واعتراف بفضلك »

وجاء ذكر أعياد النيل في مائدة للقرايين محفوظة في متحف فلورانس ويرجع تاريخها الى ملوك الاسر الثلاث الاولى

وقال « ماسبيرو » فى هذا الموضوع « عند ما يصل الماء المقدس الى جدران مدينة « سين » يقدم الكهنة أو الحاكم أو أحد نوابه ثوراً أو بطلاً ويلقيه فى الماء فى حرز من البردى مختوم عليه ويكتب فى الحرز الأمر الملكى الخاص بنظام الفيضان ومتى ترأس الملك نفس هذا الاحتفال نقشوا فى الصحراء وسجلوا هذا الحادث تذكاراً تاريخياً . وإذا تغيب الملك عن الاحتفال ناب عنه الكهنة باحتفال عظيم ، حاملين تمثال المعبود سائرين به على صنفاف النيل والجسور مرتلين الأناشيد »

من المستندات الرسمية الباقية عندنا الآن شواهد السلاسل الثلاث ، ويرجع تاريخها الى عهد الملوك رمسيس الثانى ، ومنفتاح ابنه ، ورمسيس الثالث ، وهى تنقسم الى جملة أجزاء فبعد مقدمة رمسيس الثانى تقرأ أنشودة النيل وخطاب الملك بالتهليل للمعبود ثم القرار الذى يحدد تاريخ الأعياد ويأحق به كشف القرايين وملخص ترجمته كالاتى :

« فى السنة الأولى والشهر الثالث من فصل الحصاد ، واليوم العاشر فى عهد المنير الشمس الملك القادر المحبوب من الحق ، صاحب التيجان حاكم مصر المنتصر على البلاد الجبلية حورس الذهبى المديد العمر المبارك ملك الوجهين البحرى والقبلى ، رمسيس المحبوب من أمون أبو الآلهة الذى يمنحهم الحياة والبقاء والقوة كالشمس الى الأبد فليحى الإله الطيب النيل الذى يحى النفوس بجوهره والثروة بشمراته . أنت أيها الوحيد الذى تظهر من نفسك ولا يعرف أحد ما تحويه ، والكل يفرح بظهورك من مخبئك فيك تربي الاسماك العديدة ومنك تفيض الخيرات على مصر ، فأنت خلقت لأجلنا ، ويسر بك الناس والمعبود « نون » متى قدم له القرايين أهالى البلاد ،

وأتحدوا معه في فرح التحية بقدوم النيل المضيء . فخبراته على البلاد تستفيض
من صنع يديه وتتدفق ببركاته »

« وقد أمر الملك بتقديم القرابين لأبيه أمون رع ملك الآلهة مرتين في
السنة في زمن مياه السلسلة المقدسة وفي مكانه المكرم الذي لم تكن قبله مياه .
حياة وسلام وقوة

« فتقدم القرابين في اليوم الأول من شهر سايت وفي الخامس عشر
من شهر توت وفي الشهر الثالث من فصل الفيضان والخامس من شهر أييب
كضريبة سنوية »

« ويلقى في النيل عجل أبيض وثلاث اوزات وهدايا ثمينة (لا بنت
عذراء كما يزعمون) ثم الكتاب الشامل لتفصيلات المهرجان وأنواع الهدايا
للالة أمون رع ملك الآلهة ورب مدينة طيبة »

ومهما اختلف المؤرخون في تواريخ أعياد النيل ونماذج احتفالاتها فلا
تخرج عباراتهم عن قول واحد وهو بذل جهدهم في مظاهر الأفراح عند مبادئ
الفيضان ، وإلى ذلك أشار العالم الأثرى « دى روجيه » اذ قال : « في اليوم
الخامس عشر من شهر توت جاء فيضان النيل في سلسلة وفي ١٥ أييب صعد
النيل فقدمت القرابين والهدايا للمعبود « حمبي » وفي ذاك اليوم كانوا يلقون
له ميثاقاً مكتوباً من ديوان الملك فيقبل النيل هذا العهد ولا يتخلف عن
وعوده فيمنح مواهبه أرض عبيده المؤمنين »

وفي نتجة « مدينة هابو » تاريخ أعياد يحتفلون بها ويظهر أن قدماء
المصريين كانوا يحتفلون في يوم ٣٠ من شهر كيكحك بعيد الصليب . قال
« بروكش باشا » انهم كانوا يحتفلون بهذا العيد في جملة مدائن مثل ادفو
ودندره واسنا

وكانوا يجعلون لمقياس النيل عيداً خاصاً فيحمل مقياس النيل في معبد
سيرايدس

وروى « سنيك » الفيلسوف الرومانى ان المصريين فى عهد الرومان
كانوا يلقون فى نهر بيلاق القرايين ويلقى الحكام بعدها هداياهم من الذهب
وأنواع الحلى

ولا زال تقليد الاحتفال باعياد النيل باقياً الى يومنا هذا ، ولا نثر على
نص مصرى يؤيد ما نسب الى قدماء المصريين عن تقديمهم ذبيحة بشرية
فى حفلة فيضان أو لأجل أن يجود النيل على البلاد بفيضه السنوى

ويظهر أن منشأ هذه الخرافة قصة رواها « بلوتارك » المؤرخ اليونانى
وتناقلها عنه غيره من قومه ومن الرومان ومن العرب اذ قال « اعتماداً على وحى
اجيبتوس ملك مصر قدم ابنته قرباناً للنيل ليخفف غضب الآلهة وأنه بعد
فقد ابنته ألقى بنفسه فى النيل

فهذا القول هو أصل الاعتقاد بتقديم فتاة عذراء قرباناً للنيل المعبود
كل سنة . ويكفى أن البداهة الذوقية تكذب هذا الزعم بعد العلم الراسخ بما
كان للمصريين من القدر الممل فى المدنية ورقة الشعور وسمو العواطف
حتى مع الحيوانات المعجم ، فبالأولى تسمئ مسجيتهم عن القاء فلذة كبده من
اكبادهم فى مجرى المياه المتلاطم الأمواج التى لا تبقى شيئاً من ارهاق النفوس
واختطاف الأرواح من أجسادها ، ولم يكن هناك أقل نسبة عقلية بين
اقتراف هذا الجرم والنخداع النيل بارتكابه

أما ذكر عروس النيل بلفظة « ريت » المشار اليها فى ورقة « هريس .
البردية » فيكفى فى اثبات أنه خرافة وخطأ ان لفظه « ريت » هو علم على أحد

أشكال النيل المؤنثة وليس علماً على عروس كانت تلقى فى النيل كما زعم بعض المؤرخين . والقول باستمرار العادة بالهدايا الذهبية والطيور والحيوانات لا ضرر منه ، وغاية ما يلتبس به العذر هو التفاؤل بأن يكون الفيضان سخياً على مجموع الخلائق يجرود بأهم ما تشتهقه النفوس

فى العصور الوسطى

استمر المصريون على ما ألفوه من عادات الأعياد ورسوم الحفلات ، ولم يغيروا حقاوتهم بها مع ما طرأ على ترتيباتها من التفاوت فى الروتق والأوضاع ومظاهر الزينة ، فهى كانت عرفية ووراثية وقومية ودينية الى أن جاء الفتح الاسلامى بعصر ، فحكا كثيراً من العادات ولا تزال بعض آثارها باقية الى يومنا هذا . وفى كثير من المتاحف بالمدائن الشهيرة بعض بقاياها الدالة على ما كان للنيل من المكانة فى النفوس ، والنيل من حيث هو منبع الفيض والخيرات يبقى بمكانته العمرانية فى ارفع مراتب التجارة والاحترام . فهو كما تقدم كأنه انتزع من مساحات الصحراء كميات وافرة كانت مبددة فالبسها حلة الرغد والسخاء وجعل القاطنين بها أغنياء بعد الفقر ، وذوى سعة ويسار بعد ان كانوا فى حضيض الفاقة والفضنك

ولا زال الاحتفال بمهرجان النيل متبعاً فى نوعيته الى الآن فكان المصريين فى محافظتهم على تقاليد آبائهم افترضوا على حكامهم احترام تقاليدهم وعقيدتهم فى النيل المقدس

وكان من عقيدتهم فى عهد الفراعنة ان دمعة المعبودة اريس تنزل فى النيل وتسبب فيضانه فبقيت هذه العقيدة الى العصر المسيحى ، وظن الاقباط أن النيل يفيض بنقطة إلهية تنزل من السماء ، ونجد فى النتيجة السنوية القبطية

أنه قبل انقلاب الشمس في الصيف بأربعة أيام أى في اليوم الحادى عشر من شهر بؤونه يحتفل بعيد ليلة النقطة السماوية التى تطهر الهواء وترفع الطاعون عن الأرض ، ويقول البعض إن جبرائيل رئيس الملائكة يصلى قبل ذلك بثلاثة أيام ويدعو حتى تفيض مياه النيل فيسجد ويتوسل الى ربه بأن يفيض النيل وينزل الى الأرض المطر والندى ، ويحمل فى يديه سيفاً لطرد الشيطان واليه فيما يقولون يرجع فضل نزول النقطة الالهية

فالاقباط حافظوا على تقليدهم القديم حتى أتت النصرانية وجعلوا يوم نزول النقطة عيداً وقد جاء فى بعض النصوص ذكر النقطة السماوية وليلة موج الدموع وان قصة قتال جبرائيل رئيس الملائكة للشيطان تشبه كثيراً قصة حورس المنتقم لأبيه من ست ، وأبيه ازوريس رمز الأرض السوداء المحصنة وست رمز الصحراء المجردة

ومتى حان وقت نزول النقطة يتوالى الفيضان ويرتفع الى درجته المألوفة . من العادات المألوفة الى اليوم أن بعض الناس اتخذوا المنادة للتبشير بمبادئ الفيضان فى أوائله سبباً للارتزاق بما يسديه اليهم الناس عند هذه البشرى ، فبهنى بعضهم بعضاً بحلول موسم النيل كالتهاى المألوفة فى الأعياد السنوية ثم يأتى عيد زواج النيل والاحتفال بقطع الخليج والقول بزواج النيل مبنى على تلك القصة الخرافية قصة لقاء فتاة فى النيل تلك الفتاة التى استبدل بها الى عهد قريب تمثال من الخشب يحلى بملابس ويزين بالقصب ونحوه وأما الاحتفال بالنيل واللقاء النقود ونحوها فى مجراه فهذا على سبيل التفاؤل كما تقدم . ومن التماثيل الموجودة فى متحف اللوفر تمثال رمزى يمثل النسر من صنع مدينة الاسكندرية وهو يشبه أحد تماثيل النيل المحفوظة إلى الآن بمتحف الفاتيكان فى رومه

في العصور الحديثة

نقل المقرئ في خطه عن ابن الحكم^(١) من اخبار مصر أنهم في سنة ٢٣ بعد الهجرة لما افتتحها عمرو بن العاص جاء اليه الأقباط وقالوا ان للنيل سنة لا يجري إلا بها ، قال وما هي فقالوا اذا خلت اثنتا عشرة ليلة من شهر بؤونة من الشهور القبطية عمدنا الى جارية بكر مليحة نأخذها من أبيها غصبا ونجعل عليها الحل والحلال ، ثم نلقيها في بحر النيل في مكان معلوم عندنا . فلما سمع كلامهم قال هذا لا يكون في الاسلام أبداً ، فأقام أهل مصر أربعة أشهر بؤونة وأيب ومسرى وتوت لم يزد فيها النيل لا كثيراً ولا قليلاً . ولما رأوا ذلك هموا بالجلاء عنها ، ولما رأى عمرو بن العاص منهم ذلك كتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما وصل اليه ذلك الكتاب وعلم ما فيه كتب بطاقة وأرسلها الى عمرو بن العاص وأمره أن يلقيها في نهر النيل ، فلما وصلت اليه تلك البطاقة فتحها فاذا مكتوب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب الى نيل مصر المبارك ، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وان كان الله تعالى هو الذى يجريك فנסأل الله تعالى أن يجريك » فلما وقف عمرو بن العاص رضى الله عنه على ما في البطاقة ألقاها في بحر النيل قبل عيد الصليب بيوم واحد ، وعيد الصليب يكون في السابع عشر من شهر توت فأجرى الله تعالى النيل في تلك الليلة ستة عشرة ذراعاً في دفعة واحدة

وروى بعض السائحين بمصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر بعد الميلاد أن المصريين استبدلوا بالفتاة البكر عروساً من الخشب يلقونها في

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى صاحب كتاب فنوح مصر وغيره وتوفى سنة ٢٥٧ هـ (سنة ٧٨٠ م)

النيل وهذه الآثار باقية من العهد القديم واليك وصف الاحتفال :
يتألف الموكب من حاكم البلد وطوائف عديدة من الأقباط والعلماء
والأعيان ورجال الدين والبطرك وفريق من رجال الاكليروس وتتبعهم
الموسيقى وخلفها الجماهير يصفقون ويترغنون بالأناشيد ، ثم يلقون العروس
في النيل وقت فتح الخليج

ثم اتبع الأقباط عادة أخرى في الاحتفال في عيد الشهداء الواقع في
بشنس فكانوا يلقون في النيل أصبع أحد أجدادهم موضوعاً في علبة كما رواه
المقريزي وذكر أن السلطان قلاوون حاكم مصر أبطل هذه العادة سنة ٧٠٢ هـ
ولما أتى بونابرت مصر ترأس حفلة النيل باعتباره اكبر حاكم للبلاد ولا يزال
المصريون يحتفلون بوفاء النيل ، ويقيمون الأفراح في كل الجهات احتفالاً
به فيكون بالرونق والزينات عيداً مشهوداً

وروى المؤرخون اليونانيون أنه كان لكل اقليم من الأقاليم المصرية
القديمة آلهة خاصة إلا أن جميع القدماء أجمعوا على تقديم فرائض خاصة للنيل ،
وكان لفيضانه العجيب احتفال سنوى كعيد ينتهج به جميع أفراد الشعب

وكان من عقائد القدماء أن لكل شيء روحاً وحياة وإرادة وشخصية
سامية من هبات المعبود الأعلى ، وان النيل يشفي من الأمراض وأن الأقباط
والمسامين وان كانوا أبطلوا الاعتقاد بالوهية النيل ، لكنهم لا يزالون
يصفونه بقولهم النيل المبارك . وفي زمن فيضانه كان البطرك يذهب الى النيل
مصحوباً بحاشيته الى مصر العتيقة ويلقى في النيل صليباً من الفضة . وكان
الترك يحتفلون به رسمياً ، ومتى انتهى الاحتفال كانت الجماهير تلتقي في النيل
الحبوب والثمار والسكر والخبز والدراهم ويغتسل الأطفال في مياه النيل ،
وبعض الناس يغتسلون أيضاً ببول ماء يمر في الخليج طلباً للشفاء وازالة العقم

وكان من المتبع قبل اليوم المحدد لجعله يوم وفاء النيل ان يضعوا في مصر
العتيقة تماثيلين كبيرين عليهما أنوار مركبة على منصة من الخشب مسندة على
مراكب وهذان التمثالان يمثلان رجلاً وامراًة ويسميان العروسين
وكان من عادتهم صنع عروس أخرى من الطين ويلقونها في النيل يوم
الفيضان

وقال « هيردوت » ان المصريين كانوا يكرهون ذبح الحيوانات فمعقول
جداً أن يترفعوا عن ازهاق الأرواح التي قيل إنهم يقدمونها كقربان وضحية
طلباً لوفاء النيل

وليلاحظ ان كل أمة يدخل عليها دين جديد ينشر عنها خرافات كثيرة
واذا تأملنا رواية ابن الحكم والناقلين عنه كالمقرئى وغيره ، يتضح لنا انها
خرافة مخترعة . نعم ان ابن الحكم نقل هذه الرواية عن اليونان كما نقل غيره
اكاذيب أخرى في كتاب عنوانه « الأنهار » نسبوه الى « بلوارك » ودونوا به
ان أحد ملوك مصر لما أبطأ فيضان النيل في بعض السنين ألقى ابنته فيه بأمر
الآلهة . واشتهر في الروايات ان الاحتفال يمثل (زواج النيل الذي هو
ازوريس بأرض مصر التي تمثل ازيس) فالرجع في كل الروايات الى تصور
خيالى ليس إلا



رسوم النيل في الآثار المصرية

قد اطلع القارئ على تفصيلات وافية تبين أن حياة الشعب المصرى تتوقف على تحسين أحوال الرى وانتظامه ، ليكون من فيض النيل الخير الشامل واغداق الثروة ورواج الأحوال التجارية . وقد نقش اسم النيل في جميع المعابد دلالة على أن القدماء كانوا يعتبرونه إلهًا يمنح الحياة والسعادة . وجاء في الفصل ١٤٦ من كتاب الموتى « أن الآلهة تشترك في إسداء نعمه » ونقشوه في بعض المعابد كتمثال انسان واقف يحمل القرابين ويهبها بسخاء لجميع الخلائق من انسان وحيوان

وفي كثير من الأمكنة ترى رسوم الاحتفالات بوفاء النيل لاسيما في معابد ادفو ودندرة . وهناك ترى النيل ماراً بادراج السلم ، خارجاً من ناووسه كما يخرج كل سنة من مجراه لزينة الدنيا وخصب الأودية وتدييح وجه الأرض بالنباتات المتنوعة التى تستفيد منها الناس الغذاء والحاصلات المتنوعة ويقننون الثروة فكان أرض مصر مستودعات للنفائس الكونية بأنواعها تجوز منها على كل البقاع بما تحتاجه

وهناك أيضاً رسم آخر يمثل النيل خارجاً من سلم (كما يخرج من مجراه) ليملا الأرض بالحبوب معبراً عن إعطاء الآلهة الحياة والهناء لأن من نباتات النيل تنقدم حياة الحيوانات والانسان والطيور الخ .

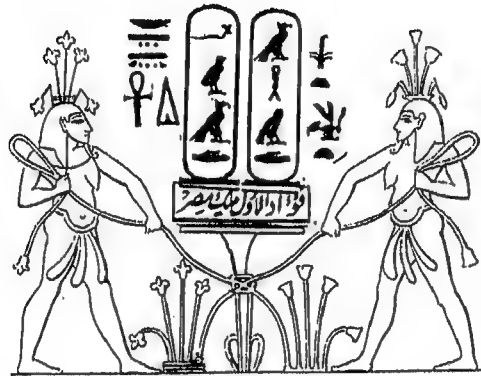
وكأن النيل يخاطب البلاد بلسان حاله بأنه مصدر رخائها وينبوع حياتها ، وانه يجود بخيراته على كل من تقلهم أى أرض سرى اليها فيضه ، فيمنحها نعماً

مزينة وخيرات متجددة ، ويؤدى للآلهة المحترمة كل شعائر الأجلال والتقديس

فالنيل بهذا الاعتبار من المعبودات الثانوية بدليل أنهم كانوا يرسمونه دائماً في المعابد بالجزء الأسفل وانه نكاحهم يهيء جميع الأشياء الجيدة والقرايين التي يقدمها للأرض ومن عليها

ووجد في تمثال محفوظ بالمتحف البريطانى بالجزء المصرى نقوش تمثل الملك ششنق وحوله العبارة الآتية « يقول حعبى النيل ابن الآلهة ومصدر النمو الذى يفيض على الوجهين القبلى والبحرى بخيرات المتدفقة فتسعد بها الحياة ، وتنكشف الشدائد وتنصب منه المياه على الجبلين والحوضين كيف يشأ ، ويعود متى أراد بعد أن يملأ المدائن والقرى بالمؤن والحاصلات الزراعية

فكان هذه النقوش تصف مزايا النيل التي امتاز به واديه فى الخصب والرخاء وجعلته مصداق قول القائلين بأن النيل أب الآلهة والبشر واذا كانت جميع الكائنات تستمد حياتها من مصدر إلهى فالنيل هو أكبر المظاهر الباهرة لهذا المصدر الأسمى .



رسم النيلين نيل الوجه البحرى (الى اليمين) ونيل الوجه القبلى (الى اليسار) وهما يحملان علامة الاتحاد وعليها اسم ملكنا المعظم فؤاد الاول بالفتن المصرى القديمة والعريية

أنشودة النيل

لقدماء المصريين

من لوازم الفطرة الراقية ابتكار الأناشيد في المناسبات التي ترتاح
النفوس فيها الى الترنم بما يستطاب لأجلها افتخاراً واستلذاً واستبقاء
لحسن الأحداث، فيتداول الناس الأناشيد كلما تجددت الذكرى
للاحتفالات، والنيل عند قدماء المصريين قد اختصوه بما ألفوا من مظاهر
الافراح ودلائل المسرات عند فيضانه ومواسم أعياده وقد خصوه بأناشيد
رائعة تعرب عن شدة شعورهم ومن بينها الأنشودة التي نغمتها في عصره الشاعر
المصرى القديم ووجدت مكتوبة في لوحتين على الورق البردى معروفتين
بورقتي ساليير وأنسطاسي وهما من مجموعة الأوراق البردية المحفوظة الى الآن
في المتحف البريطاني وترجمها العالمان الأثريان الشهيران ماسبرو وجبس وهما
الذان نقلها من الشعر المصرى القديم . وترجمتها الى العربية نظماً من الرجز:

(١)

نسدى الى النيل سلاماً طراً	لأنه قد جاءنا مبكراً
اليوم عيد النيل فى بشره	فكلنا تسرنا لقياه
النيل يحيى فيضيه بلاده	وهي له تلازم العباده
منظره يروق للأبصار	وسره معجزة الأفكار
النيل يأتينا من الظلمات	ليملأ الأكوان بالخيرات
يروى نداء أنضر الخدائق	وينبت الأرزاق للخلائق
كأنه يأتى من السماء	ليمنح الحياة للأحياء
يحيى موات الأرض فى النواحي	كأنه من عالمى فتاح
يجود بالخير (لسب) محسناً	كما (لنبرا) قد أقر الأعينا

(٢)

النيل رب السمك المحبوب	يأتى به من عالم الغيوب
ويخصب النبات فى الغيطان	والزهر والريحان فى البستان
ينبت قمحاً وشعيراً جيداً	ولن يصد النيل عنه أحداً
بالنيل ينجو من شقاء الدهر	كل فقير من أهالى مصر
فى نعمة النيل لهذا الوادى	سعادة الحكام والأفراد
والبطء فى الفيض يضر الخلقا	وينضب الرب الرحيم حقاً

(٣)

فيوضه تأتية من أئوم	فنجتنى من خيرهِ المقسوم
وتنتفى أوهام كل خائف	بالنيل فهو مصدر اللطائف

(٤)

كأنك الخالق للأشياء	وما نَح الضعاف بالنعماء
ومن نذاك نمنح القربانا	فلا نخاف بعده هوانا
كل غنى منك يرجو نعمته	ويعمنح المحتاج منها رحمته
فأنت للغنى والفقير	ملجأ كل الخير والتيسير

(٥)

أنت رئيس سفن الحياة	تسرى بها لساحل النجاة
أسرار مجراك علينا خفيت	لكن مزاياك لدينا عظمت
فلست محتاجاً الى قربان	ولست تخشى خدع الانسان

(٦)

ولست محتاجاً الى مكان	فأنت رب الفيض والاحسان
يلقاك بالتصفيق عند اللقيا	مستبشرين كل من فى الدنيا
فأنت تحيى مهجة الظمان	وحارس الملوك والسيجان

(٧)

منك المعونات على الدوام	مقرونة بالحمد والاعظام
وأمرك المطاع في البلدان	تقبله النفوس بالاذعان
وتملأ القلوب حباً صادقاً	وتجعل الكون بشكر ناطقاً
أولاد «سبك» منك في افراح	وأهل «نيق» بك في انشراح
كأنما دائرة الموجود	أمام مجراك من الجنود
يفنى العباد عن شقاء الجهد	فيضك اذ يأتي بكلّ رغد

(٨)

يضىء منك الماء حين يبدو	بعد الظلام وهو ما تودّ
لم تتخذ فيما ترى أعواناً	ولم تدع لحاكم سلطاناً
فأنت روح الكل في الوجود	أنعم بفيض النيل من مقصود

(٩)

تأثى وتمضى طبق ما تريد	وكم تطيع ربها العبيد
وكل ثوب من هموم ماضية	تنزعه بشرى التلاقى الزاهية
فأنت للسقام نعم البلسم	ومنك للجميع تصفو الأنعم
تجيب بالفيض رجاء الامة	وتصطفئها بعميم الرحمة
يحوى ثراك أنفس المعادن	فتكثر الأموال في الخزائن
لكن بالقمح حياة الناس	وليس بالأموال في القرطاس

(١٠)

في عيدك الصغار والكبار	تطربها الطبول والمزامر
ويستطاب الأنس والسرور	ويتباهى بالصفاء الجمهور
فأنت حقاً زينة البلاد	ومصدر الخيرات والاسعاد

(١١)

وكلما جئت الى العواصم أسديت فيها أعظم المغانم
فيفرح الغنى والفقر ان لم يعق فيوضك التأخير
وهكذا مسرة الأقوام يحبونها في سائر الأعوام

(١٢)

نهدي اليك الطيب والعجولا وكل قربان نرى مقبولا
ونوقد النيران والبخورا ونعلا الدنيا بها سرورا
تخرج من (بنيو) وتأتي طيبه كستهم زائر حبيبهم
وكل ما يحويه سر النيل لم نكتشف منه سوى القليل

(١٣)

مصر تعد النيل رباً سامياً فاجعل لنا بالفيض حظاً نامياً
واجعل بنى النيل على سواهم يرقون شأناً رغم من عادهم
أمين . أمين . أمين

وكان قدماء المصريين باعتمادهم الترنم بهذه الأنشودة يعتنون بتوقيعها
على أوضاع الآلات الموسيقية ليكون لوقعها في النفوس طرب النشوة
الموسيقية والانشراح القولى، ولا زلنا الى العصر الحالى نتلقى من عوام
المنادين الذين يطوفون وحولهم الغلمان في الأزقة والحوارى ما هو بلا شك
صدى متتابع من ترديد هذه النغمات أيام الفيضان

ومن اولئك المنادين من يقتصر فيما يلقيه على غلمايه بأناشيد مختصرة
ونغمات مقتضبة، ومنهم من يجعل كلماته على نسق السجع المرصع الذى طرأ
عليه التحريف العامى في النطق والتلحين بما لا يخرج في معناه عن القول
الآتى : إنك أيها النيل المبارك صاحب القوة العظيمة ومنك تتدفق الكنوز

وتفويض الخيرات على أرض مصر، بارك الله في فيضائك وأدامك متدفقاً
بالخير والبركة على البلاد والأودية والبساتين والمزارع يشكر نعماءك الانس
والحيوان والطيور في أوكارها ، والحيتان في أغوارها .

فاذا كانت عبادة النيل بصفته الهاً كما كان يعجده به قدماء المصريين
في حفلاتهم ومعاييدهم فقابلته بالتحية والبشاشة والفرح والسرور عند مبادئ
أشهر فيضانه آثار باقية من العواطف القومية لدى الأمة المصرية بصرف
النظر عن اختلاف المعتقدات والتطورات العصرية

الشعر العربي

في مدح النيل

علم القراء أن النيل من أجل المواهب الإلهية على هذه البلاد ، وأن
هذه الهبة الأبدية لم تستطع أيدي التغاب الدولي بخسه حقه من الكرامة
والاحترام فهو ينبوع الحياة للأرض ومن عليها . فمع تعاقب الدول في
الاستعمار والتملك بقى النيل متسامياً على كل قوة يمنح البلاد من الرخاء والسعادة
ما يشجعها على معاصرة الجبارة ومكافحة طوارئ الدهور حتى أن اليونان
والرومان لم يحسدوا ما للنيل من القوة الفعالة في المزايا الممرانية التي اختصت
بها تربة الأراضي المصرية . وأتى العرب بعمد فأجادوا وأبدعوا في وصف النيل
والتحدث بمواهبه وتقديره لما أبرزوه من آيات البلاغة في هذا المضمار ثبتت
المقتطفات من قصائده مطولة تناقلتها التواريخ العربية كالمقرئ وغيره ومنها قوله :

كان النيل رزقهم ولب لما يبدولعين الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه ويمضي حين يستغنون عنه

قال المسعودى فى تاريخه قال بعض الشعراء يصف مصر
مصر ومصرأ شأنها عجيب ونيلها يجرى به الجنوب

قيل فى مصر عدة قصائد ومقطعات فى كل سنة منها ما قاله الشيخ صلاح
الدين خليل ابن ابيك الصفدى

لم لا أهم بمصر وأرتضيها وأعشق
وما ترى العين أحلى من ماها إن تدفق

وفى المعنى للشيخ زين الدين عمر بن الوردى
ديار مصر هى الدنيا ومساكنها هم الأنام فقابلها بتقبل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل

وأبدع منه ما قيل فى المعنى أيضاً لابن سلام
لعمرك ما مصر بمصر وانما هى الجنة العليا لمن يتذكر
وأولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وللقاضى شهاب الدين احمد بن فضل الله العمرى فى المعنى
ما مثل مصر فى زمان ربيعها بصفاء ماء واعتدال نسيم
أقسمت ما تحوى البلاد نظيرها لما نظرت الى جمال وسيم
لمصر فضل باهر لعيشتها الرغد النضر
فى كل سفح تلتقى ماء الحياة والخضر

ولابن الصايغ الحنفى فى المعنى واجاد
أرض بمصر فتلك أرض من كل فن بها فنون
ونيلها المذب ذاك بحر ما نظرت مثله العيون

وغيره فى المعنى

النيل قال وقوله اذ قال ملء مسامعى
فى غيظ من طلب العلا عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا أقلمتها بأصابعى

وللشريف العقيلي فى المعنى

أحن الى الفسقاط شوقاً وأننى لأدعو لها أن لا يحل بها القطر
وهل فى الحيا من حاجة لحياتها وفى كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروساً والمقطم تاجها ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

ولو خشية الإطالة لذكرنا من هذا نبذ كثيرة . ومن أراد الاكثار من ذلك
فليراجع تاريخ « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » فقد ذكر من ذلك
عدة مقطعات عند وفاء النيل فى كل سنة من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر
والقاهرة تأليف جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن المرحوم تبرى بردى الاتابى

عبادة النيل

المعبود أزوريس هو النيل — النيل السمائي والنيل المائي

النيل على شكل انسان

معلوم أن قدماء المصريين كانوا على جانب عظيم من التعلق بمعتقداتهم الدينية ، وكانوا يعملون لكل شيء عظيم النفع إلهًا خاصا يقدمون اليه عبادتهم في أوقات يحددونها لما اشتهر عندهم من خواص هذا الشيء ، فكانوا يقيمون للنيل العبادات المتعددة في أوائل الفيضان وفي عيد الصليب وغيره مما مرر بنا إيضاحه

وقد استعمل المؤرخون اليونان والرومان حد التطرف ومنتهى الغلو فيما تكلموا به عن معتقدات وعبادات المصريين مع كونهم لم يعرفوا لغة البلاد الحقيقية التي تمكنهم من الوصول الى سر هذه العقائد والعبادات ، ونشروا في مؤلفاتهم افتراء شنيعًا على المصريين وقالوا إن عبادتهم كانت قاصرة على الأصنام حتى قال بوسيديه في كتابه (خطاب في التاريخ العالمى الجزء الثالث) « كان كل شيء إلهًا في مصر ما عدا الله تعالى » ولا ينبغي أن تأخذنا الدهشة لهذا الافتراء الصادر عن جهالة قائله ، فإن الزائر له متحف عندما يشاهد الآثار الموجودة ، ويرى تماثيل الآلهة ونحوها يعتقد أن تلك الطائفة في معتقداتها أسرارًا باهرة وآدابًا سامية ، فما كانوا يعظمون آلهتهم ومملوكهم إلا لإعتقادهم فيها الوسيلة والزلفى لدى الله الذى هو الاله الاكبر الذى تدين السكائنات لعظمة قدرته

ولم يكن اشتغال الشعب المصرى بالابداع فى الرموز والتصاوير الا من باب التوسع فى الفراسة الذهنية والتفنن الذوقى فى انتقاء ما يعتقدون به نوال القرى لدى هذه الآلهة الثانوية .

وقد قال اكليمندس الاسكندرى الذى جاء مصر فى عصور الأضمحلال لديانة القدماء الحقيقية انهم كانوا يصورون آلهتهم بمنظر وحش يتمرغ على بساط من أرجوان ، وانهم كانوا يقدمون للنيل فى مواسم الفيضان ونحوه عبادة خاصة باعتبار أنه المصدر الأقوى لحياتهم الزراعية والعمرانية وقد عثر على حجر يرجع تاريخه الى الأسرة الرابعة منسوب لابنة الملك خوفو تكلمت فيه عن عبادة المصريين للنيل ، ولم تعلم لنا منه الأماكن التى كانت معدة لهذا التعبد وكرت عبادته فى مدينة ممفيس

وكان بيت النيل (ولعله منبعه) يدعى فى المدن الأخرى باللغة المصرية القديمة (پاحعبي) وأشهر هذه المدن تسمى (هاحعبي) أى قصر النيل وعلم مما اكتشف أخيراً على حجر من السرايوم أن هذه المدينة هى مدينة هايوبوايس . ووجد منقوشاً على مائدة للقرايين محوطة اليوم فى متحف فلورانس ويرجع تاريخها الى الأسرة الثالثة عبارات يبين الأحتفالات الدينية التى يقيمها المصريون أكراماً للنيل المبارك وان عبادته يرجع تاريخها الى العصور الأولى وكان عند قدماء المصريين معدوداً من الآلهة الثانوية

والحقيقة ان القيام بالعبادات للنيل كان عاماً بانحاء القطر ولم يكن مختصاً بجهة دون أخرى ، فقط كانت بعض البلاد تمتاز بفخامة معابدها ومبانيها ونقشوا فيها احتفالات النيل مثل معابد الكرنك وادفو وندرة ومدينة هايوبو وكان النيل يمثل فى هذه المعابد على شكل إله طبيعى ويعبدونه باعتقادهم فيه الاقدمية والدهرية

وكانوا يمثلونه بصفته إلهًا مقدسًا (حعبى) ويلقبونه إله الخصب والاب
المربى على شكل رجل فى ريمان الشباب ممتلئ سمكًا ونشاطًا كرجل مترف
غنى من العظماء يعلق على تمثاله حليًا فى الصدر يشبه ثدى المرأة وبطنه مطوية
من الشحم وفخذه ثابتان مدورتان أشبه منظر بالغادة الحسناء ونقشت فوقه
هذه الكلمات باللغة المصرية القديمة (عنخ ، اوزا ، سنب) ومعناها الحياة والصحة
والقوة . وهكذا كان المصريون يمثلون رسم رجالهم الأغنياء العظماء

ومن تماثيل النيل ما هو مختلف اللون فبعضها احمر وبعضها أزرق
يحمل على رأسه النباتين البردى واللوطس رمزاً الى الوجهين القبلى والبحرى .
وبعض هذه التماثيل مرسوم على جدران معبد سيتى الاول بآبيدوس ومعابد
ادفو ودندرة لأن عبادة النيل كانت منتشرة فى جميع الأقاليم كما تقدم

وترى بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى الغربية تماثيل لنيل الوجه القبلى
والنيل لوجه البحرى حاملين الأسماك والطيور والأزهار ليقدمهاها هدية للملك
وكثيراً ما يمثل النيل فى كتاب الموتى بصفته الرمزية . وقد نقش على صفحة
سلسلة أن النيل هو ابو الآلهة وأنه خرج من نفسه

ومن الغريب ان قدماء المصريين شيدوا معابد كثيرة لآلهتهم ولم يقيموا
معبدًا للنيل ، بل تقرأ اسمه منقوشاً على جدران المعابد وقواعد المسلات وكان له
فيها رجال يتخصصون لخدمته .

وروى هيردوت أنه كان من عاداتهم ان تشال جثة من يموت غريقاً أو
يبتلعه تمساح ودفنها بالإكرام والتعظيم

وكانوا يعتقدون ان النيل المأوَّل يقيم فى جزيرة ببحا (وان خزائنه) منبعه
موجود هناك وكانوا يعتقدون انه آت من نون وهو الفضاء الاول الموجود
وانما ليس له ابتداء ، وان الإله حعبى يتحد مع اريس فى ضمانه البقاء الأبدى له

ولهذا اعتادوا ان يجعلوا اليد اليسرى لمن يموت في ست لفائف ويرسمون عليها اسم النيل والمعبودة اريس وفي بعض المدارس اللاهوتية ان النيل (حمي) باتحاده مع اريس زوجة المعبود ازوريس) هو الفيضان الذي يخصب ارض مصر واعتقد قدماء المصريين ان الدار الآخرة تشبه الحياة الدنيا وانه يوجد بها نيل كنييل مصر ، واعتقدوا ان جنتهم واد منحصر بين جبلين يفصلهما نهر تمر فيه سفينة الشمس وان مياهه تمر من الغرب الى الشمال حتى منتصف المسافة ، وتنزل في الجرى ذاته من الشمال الى الغرب ، وان اريس بكت زوجها ازوريس في هذا النهر . ولما نزلت فيه هدامعها تفجرت مياهه وسببت هذا الفيضان الأرضي ، وكانت المياه السماوية تحوط الجنة والشمس تطوف حول مجرى هذه المياه التي تغطي هذه الدنيا تماماً وتفصلها عن السماء ومتى اختفت الشمس في الأفق تمر سفينتها في المياه السماوية وان سفينة الشمس تمر بالليل في وادي الأموات ودعوا النيل الشهير (الجندى) وان الأموات في الدار الآخرة تمر في سفينة الإله رع ومن هذا يتبين للقارىء انه لم يكن عندهم سوى نيلين النيل السماوى والنيل الأرضى وهو نيل مصر

آلهة الأنهر — ثالوث بيلاق — العجل أيس وسيرايس

قصص خرافية عن النيل — ما أشيع عن النيل

كما اعتقد المصريون في النيل مزايا الألوهية ولقبوه أنه أب الآلهة وأنه الإله حمي كانت لهم أيضاً آلهة أخرى لأنهار كثيرة ورؤوسها على أشكال أكباش وآلهة الشلال وثالوث بيلاق

فنها ازوريس اله مندمس وخونسو إله الشلال (وحرشافيتو) إله مدينة

هيراكليوبوليس الكبرى وكل منهم هياً قسماً من النيل في دائرة المنطقة
المسماة باسمه لتستمد بمعوناته وفيوضاته حظها من الخصب والرخاء



فتاح إله مدينة ممفيس
مخط الجسم والأصل بالمتحف المصرى

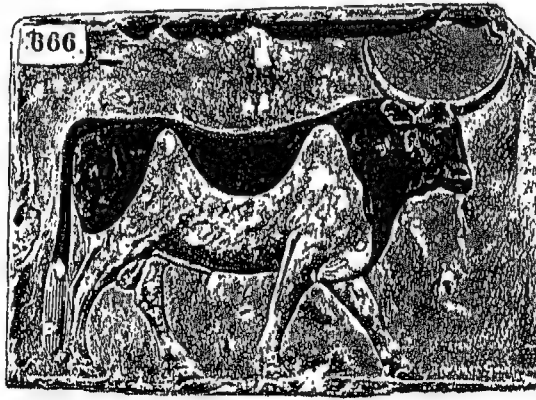
قال هيردوت كان أهالى مندىس
يكرّمون كثيراً جنس المعز. وإذا ماتت
واحدة من فصيلتها، أقاموا لها حداذاً في
كل إقليم. ولفظة مندىس كلمة مصرية
قديمة معناها تيس، وكان مرشافيتو
معبود هيراكليوبوليس الكبرى ومعبود
النيل أيضاً وثالث بيلاق هو خونسو
وأثوكيت وساتيت وخونسو كلمة مصرية
قديمة معناها رئيس البنائين وأثوكيت
معناها الحاضنة وساتيت معناها رامية
السهام

وثالث بيلاق يرجع تاريخه الى أقدم
العصور. وكان خنوم أحد الآلهة المعبودين
في ذلك الإقليم يرسم في جهة برأس كبش
وفي غيرها برأس آدمى واسمه القديم توم
وفي عصر البطالسة صاروا ينطقونه بلفظ خنوم ومعناه جمع

وقد شبهوا فتاح إله مدينة ممفيس بالنيل وأنه يشبهه أزوريس في كونه
كالشمس الليلية، وأنه الإله الأول

والعجل أيس من آلهة النيل أيضاً وقال رولين قد أذاعوا عن العجل

أييس أنه يجمع بين الحيوانات وشيدوا له المعابد وكانوا يقدمون له فروض الأكرام فإذا مات يحزن له جميع المصريين ويطعمون المآتم ثم يبحثون عنه يختارون بديلاً منه بعلامات خاصة ويميزونه بغرة بيضاء في جبهته على شكل الهلال وعلى ظهره رسم صقر وعلى لسانه رسم جعل (جمران) فتى عشروا على من تتوفر فيه هذه الصفات اتخبوه وبدلت أتراحهم أفراحا



العجل أييس
الأصل بالمتحف المصرى

وقال بلوتارك ان العجل أييس هو الصورة الحية لأزوريس ولا يتجاوز عمره ٢٥ سنة . فتى بلغ هذا السن أماتوه وألقوه فى النيل بكل اجلال واحترام ودفنوه فى السرايوم وموته يصبح أزوريس . وكلمة سرايوم مأخوذة من اسم (أسر حعبى) الذى حرفه اليونان الى لفظة سيرايس

وترجع عبادة العجل (أييس) الى أقدم العصور التاريخية وقد ذكرت فى شاهد لابنة الملك خوفو من الأسرة الرابعة وكانت عبادته أكثر انتشاراً فى عهد الأسر الثلاثة الأولى لاسيما فى عهد البطالسة . وقد وصف اكليمندس الاسكندرى والقديس اغسطينوس جمال هذا الإله وقالوا إنهم شيدوا له معبداً نفما اشتهر بمعبد السرايوم الذى كان احدى عجائب الاسكندرية فى عهد البطالسة

وجميع الرسوم والتماثيل تمثل لعقولنا مقدار عظمتهم العصرية وعنايتهم بان تبقى آثارهم مدى الأجيال تتنبأ عنها الشعوب متمدحة بعظمة النيل واعظامهم له لأن كل دولة احتلت مصر سواء في العصور القديمة أو الحديثة تعترف بما للنيل من الأيادي البيضاء الخالدة في أعناق كل من شملتهم سعة واديهم المبارك

ذكر شيء من فضائل النيل

قال المقرئى : أخرج مسلم من حديث أنس رضى الله عنه فى حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقتها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات

وقد ذكر اسم النيل فى التوراة (يور) « تخرج من النيل البقرات التى رآها فرعون فى الحلم » (سفر التكوين الفصل ٤١ الأعداد ١-٣) « أمر فرعون ان يلقى فى النيل أبناء العبرانيين الذكور » (سفر الخروج ١-١٢٢) « ألقى موسى فى النيل فى سبت من الخيزران والتقطته ابنة فرعون » (سفر الخروج الفصل الثانى الأعداد ٣-٦) — « أخذ ماء من النيل وألقاها فى الأرض فتحولت الى دم » (سفر الخروج الفصل الرابع العدد التاسع) — « أخرج موسى من النيل الضفادع التى اتلفت أراضى مصر » (سفر الخروج الفصل الثامن الأعداد ٥-١٣)

وذكر الأنبياء اسم النيل فى كتاب العهد القديم (اشعيا الفصل ١١ العدد ٦) « مياه النيل مياه البحر » ويصف ارميا مجرى النيل فى الفصل ٤٦ الأعداد ٧-٨ وقال ناعوم فى الفصل الثالث العدد الثامن « كان هذا البحر سوياً لمدينة طيبة الخ

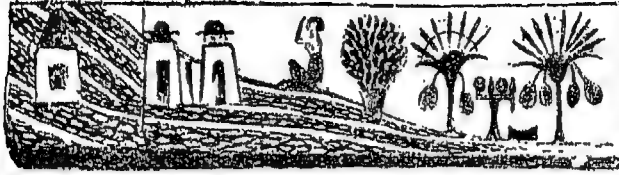
وفي التوراة وخلق فردوساً في عدن وجعل الإنسان فيه واخرج منه نهراً
ينقسم أربعة أجزاء فيسوق المحيط بأرض حويلا وجيحون المحيط بأرض كوش
وهو نيل مصر ودجلة الآخذ الى العراق والفرات . وروى ابن عبد الحكم
عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه انه قال نيل مصر سيد الأنهار سيخر الله
له كل نهر من المشرق والمغرب فاذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل
نهر أن يمدّه فأمدته الأنهار بمائها ونجر الله الأرض عيونا فاذا انتهت جريته
الى ما أراد الله عز وجل اوحى الى كل ماء ان يرجع الى عنبره

وعن يزيد بن أبي حبيب أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه سأل
كعب الاحبار هل تجدد لهذا النيل في كتاب الله خيراً قال أى والذي فاق
البحر لموسى إني لأجدّه في كتاب الله أن الله يوحى إليه في كل عام مرتين
يوحى عند جريته أن الله يأمرك أن تجري فيجرى ما كتب الله له ثم يوحى
إليه بعد ذلك يا نيل عُرحميداً

وعن كعب الاحبار رضى الله عنه أنه قال أربعة أنهار من الجنة وضعها
الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان
نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة
وقال المسعودى نهر النيل من سادات الأنهار واشراف البحار لأنه
يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشريعة

وقد قالت العرب إن النيل إذا زاد غاضت له الأنهار والأعين والآبار
وإذا غاض زادت فزيادته من غيضاها وغيضه من زيادتها وليس في أنهار الدنيا
نهر يسمى بحراً غير نيل مصر لكبره واستبحاره

وقال ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث وفي حديثه عم نهران مؤمنان
ونهران كافران أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بائخ
انما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الأرض
ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا مؤونة وجعل دجلة ونهر
بائخ كافرين لأنهما لا يفيضان على الأرض ولا يسقيان شيئاً إلا قليلاً وذلك
القليل يتعب ومؤونة فهذان في الخير والنفع كالمؤمنين وهذان في تلة الخير
والنفع كالكافرين (١٥)



فهرست الكتاب

صحيفة	مقدمة الكتاب	صحيفة
٣٦ نتائج زيادة النيل وتقصانه في عهد العرب	٣	٥
٧٩ مصبات النيل حسب عقيدة القدماء	٥	١١
٨٠ مقاييس النيل في عهد الفراعنة	المصريين وتقاليدهم	١١
٨٣ ذكر مقاييس النيل في عهد العرب	خطاب أحد رؤساء كهنة قدماء	١٥
٨٨ المقياس بناء على تحقيقات العصر الحالى	المصريين إلى يوليوس قيصر	١٩
٩٠ الضرائب المصرية القديمة	الرومان بشأن منابع النيل	٢٨
٩٤ المكوس المصرية القديمة على المراكب	بحث العالم القديم والحديث في	٣٤
٩٥ أموال خراج أراضى مصر في عهد العرب	منايع النيل	٣٨
٩٧ خراج مصر في الاسلام	رأى العرب في منابع النيل	٤٥
٩٨ رأى العلماء في بحيرة مريس	أسماء النيل من النصوص المصرية	٤٦
١٠٠ أعياد النيل عند قدماء المصريين	القديمة	٥٢
١٠٤ » » في العصور الوسطى	سيحور من أسماء النيل أيضاً	٥٢
١٠٩ رسوم النيل في الآثار المصرية	فيضان النيل وأسبابه عند	٥٢
١١١ أنشودة النيل لقدماء المصريين	قدماء المصريين	٥٢
١١٥ الشعر العربى في مدح النيل	التنبؤات المصرية القديمة الخاصة	٥٢
١١٨ عبادة النيل — المعبود أزوريس هو	بالنيل — ورقة انسطاسى البردية	٥٢
النيل — النيل السمائى والنيل	أو سفر أبوور المتنبى المصرى	٥٢
المائى — النيل على شكل انسان	القديم منذ ٤٠٠٠ سنة	٥٢
١٢١ آلهة الانهر — ثلوث بيلاق — العجل	أعمال ملوك الأسرة ١٢ في النيل	٥٢
أبيدس وسيرايس — قصص خرافية	زيادة النيل وتقصانه وأطواره في عهد	٥٢
عن النيل ، ما أشيع عن النيل	العرب (في سنة ٧٦٩ م — ١٥٢ هـ	٥٢
١٢٤ ذكر شىء من فضائل النيل	إلى سنة ١٩١٤ م — ١٣٣٢ هـ)	٥٢

فهرست الرسوم الموجودة في هذا الكتاب

- ٢ رسم صاحب الجلالة مليكنا المعظم فؤاد الاول وحوله رسوم الفراعنة العظام
- ٤ رسم زينة مصرية قديمة بديعة الشكل
- ٨ رسم الاله جعي في محبته وفوق الصيخور المرتفعة رسما الصقر والباشق رمز للوجهين البحرى والقبلى
- ١٨ خريطة قديمة للنيل
- ٢٩ رسم لنيلي الوجهين البحرى والقبلى
- ٣٠ » آخر لنيلي الوجهين البحرى والقبلى
- ٣٨ » المعبودة ازييس والاصل بالمتحف المصرى
- ٣٩ » » نقتيس » »
- ٤٣ » لنيل مدينة تنيس والاصل بالمتحف المصرى
- ٦٥ تمثال للنيل على شكل انسان محفوظ اليوم في حدائق التويليرى بباريز
- ٧٨ رسم مجرى النيل حسب خريطة بطليموس المحفوظة بدير جبل أوتوس
- ٧٩ رسم خريطة مصاب النيل الخمسة حسب رأى هيردوت المؤرخ اليونانى
- ٨٧ رسم عمود المقياس مأخوذ من كتاب وضع قاسم بك
- ٩٤ مركب شراعية مصرية قديمة والاصل بالمتحف المصرى
- ١١٠ رسم النيلين نيل الوجه البحرى ونيل الوجه القبلى وهما يحملان علامة الاتحاد وعليهما اسم مليكنا المعظم فؤاد الأول باللغتين المصرية القديمة والعربية
- ١٢٢ رسم فتاح إله مدينة ممفيس والاصل بالمتحف المصرى
- ١٢٣ رسم العجل أيبس والاصل بالمتحف المصرى

الطب المصري القديم
مصر في العصور القديمة
تاريخ الفن المصري القديم
تاريخ نوت عنغ آمون
وتبعه تاريخ عالم الفراغة
الأثر الجليل لقدماء وادي النيل
المواد والصناعات عند قدماء المصريين

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ, Tel. : 756421

٧٥٦٤٢١ ت - القاهرة